موسوعة

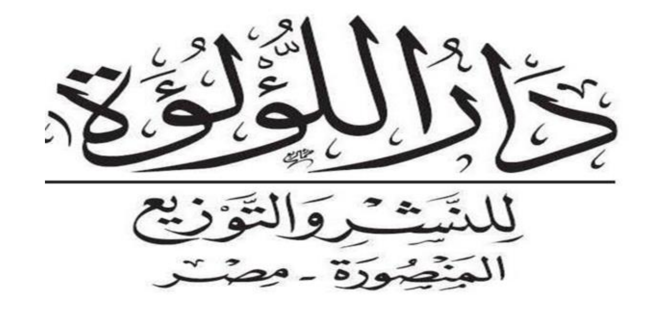
قصص الأنبياء

قصص الأنبياء

الجزء الأول

تأليف

محمد العناني



تم ضبط وتدقيق النص بواسطة: مكتب ابن سلام للبحث العلمي

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م

رقم الإيداع/

الترقيم الدولي/

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

المنصورة ــ شارع عزبة عقل ــ شارع المكتبات الإسلامية

٣٣ شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر

Dar_elollaa@hotmail.com

ت/٠١٠٠٧٨٦٨٩٨٣-٠١٠٠٧٧١١٦٦٥



الباب السابع: إبراهيم- عليه السلام-

الفصل الأول: نسب إبراهيم- عليه السلام-

هو إبراهيم بن آزر حسب ما جاء في القرآن الكريم.

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»:

" هو إبراهيم بن تارخ " ٢٥٠ " بن ناحور " ١٤٨ " بن ساروغ " ٢٣٠ " بن راعو " ٢٣٩ " ابن فالغ " ٤٣٩ " بن عابر " ٤٦٤ " بن شالح " ٤٣٣ " بن أرفخشذ " ٤٣٨ " بن سام " ٦٠٠ " بن نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ"[١].

والأرقام الموجودة هي أعمارهم.

ونقل ابن كثير في «البداية والنهاية» نسبه عن ابن عساكر أنه:" إبراهيم بن آزر –وهو تارخ– ابن ناحور بن شاروع بن أرغو بن فالغ بن شالح بن أرفشخد بن سام بن نوح، ويكنى بأبي الضيفان"[٢].

ويلاحظ أن ابن كثير، وابن عساكر اتفقا في نسب إبراهيم– عليه السلام– في جميع الأسماء مع اختلاف في النطق ما عدا «عابر»؛ حيث ذكره ابن كثير ولم يذكره ابن عساكر، والله أعلم بالصواب فلا يوجد مصدر معتمد موثق في هذا، وذهب البعض إلى أن أبا إبراهيم كان له اسمان علمان آزر وتارخ، كما كان ليعقوب عليه السلام، أو قد يكون أحدهما علمًا هو تارخ، والآخر لقبًا وهو آزر.

١) البداية والنهاية (١/ ١٦٠).
٢) البداية والنهاية (١/ ١٦٠).

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية»:

"وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الأنعام: ٧٤] هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اسْمَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ آزَرُ، وَجُمْهُورُ أَهْلِ النَّسَبِ مِنْهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى أَنَّ اسْمَ أَبِيهِ تَارَحُ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ يَقُولُونَ: تَارَخُ -بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ- فَقِيلَ: إِنَّهُ لُقِّبَ بِصَنَمٍ كَانَ يَعْبُدُهُ اسْمُهُ آزَرُ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالصَّوَابُ أَنَّ اسْمَهُ آزَرُ، وَلَعَلَّ لَهُ اسْمَانِ عَلَمَانِ أو أحدهما لقب والآخر عَلَمٌ. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ مُحْتَمَلٌ. وَاللهُ أَعْلَمُ"(١).

وقال البيضاوي في تفسيره:

"{وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ} هو عطف بيان لأبيه، وفي كتب التواريخ أن اسمه تارح، فقيل: هما علمان له كإسرائيل ويعقوب، وقيل: العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ أو المعوج، ولعل منع صرفه؛ لأنه أعجمي حمل على موازنه، أو نعت مشتق من الآزر أو الوزر، والأقرب أنه علم أعجمي على فاعل كعابر وشالخ.

وقيل: اسم صنم يعبده، فلُقب به للزوم عبادته، أو أطلق عليه بحذف المضاف. وقيل: المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده؛ أي: أتعبد آزر، ثم قال: {أَتَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً} تفسيرًا وتقريرًا. ويدل عليه أنه قُرئ: «أأزرًا»، تتخذ أصنامًا بفتح همزة «أزر» وكسرها، وهو اسم صنم. وقرأ يعقوب بالضم على النداء، وهو يدل على أنه علم"(٢).

---

١) البداية والنهاية (١/ ١٦٣).

٢) تفسيرالبيضاوي (٢/ ١٦٩).

يقول الدكتور رشدي البدراوي في كتابه «قصص الأنبياء والتاريخ»:

"ويرى الدكتور رؤوف أبو سعد في كتابه «من إعجاز القرآن» أن إبراهيم عليه السلام وُلد في أور الكلدانيين، وكانت اللغة السائدة هي البابلية، وفي هذه اللغة يمكن وضع التاء مكان الطاء كتابة ونطقًا، ويكون تارح أو طارح مترادفين بمعنى الحمول أو المحمل بما يثقل ظهره. وجاءت التوراة وكتبت الاسم كما ينطق في لغته الأصلية البابلية. كتبته بأحرف عبرية. ثم لما ترجمت التوراة إلى العربية احتفظت بالنطق الأصلي أيضًا بأحرف عربية "تارح".

ولكن القرآن الكريم -وقد نزل بلسان عربي مبين- لا يرتضي هذه الطريقة؛ أي: كتابة النطق الأجنبي بأحرف عربية لذلك أرجع اللفظ لمعناه. والجذر الأصلي لتارح أو طارح هو طرح. ويقابله في العربية الجذر «وزر» بمعنى حمل ما يثقل ظهره. والوزر هو: الحمل الثقيل الذي يثقل الظهر. وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ [الشرح].

وفي بعض الكلمات بتبدل الهمزة والواو، مثل: «أكد ووكد»، وعليه فإن «وزر» يمكن أن تقلب إلى «أزر». وجاء قوله تعالى على لسان موسى: "﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾﴾ [طه].

والمعنى: اشدد به ظهري. ومن الأزر جاء آزر، والآية تقول: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ [الفتح].

بمعنى: المؤازرة وزيادة التحمل وشد الظهر.

ويخلص الأستاذ رؤووف أبو سعدة من هذا إلى «آزر» هي ترجمة عربية لمعنى تارح التي جاءت في التوراة، والمأخوذ نطقًا عن البابلية بمعنى الحمول

أو المتحمل لما يثقل ظهره [1].

1) قصص الأنبياء والتاريخ، للدكتور رشدي البدراوي (٢/ ٤٥).

الفصل الثاني: إبراهيم عليه السلام من الميلاد وحتى الوفاة

سوف نقسم قصة إبراهيم عليه السلام إلى مراحل عدة سوف نتناولها فيما يلي:

المرحلة الأولى: من مولده عليه السلام وحتى إخراجه من بابل إلى الأرض المقدسة مرورًا بحران

مولد إبراهيم عليه السلام في أرض الأصنام

وُلد إبراهيم عليه السلام –حسب الراجح من الأقوال– في مدينة أور جنوب بابل بأرض العراق، وتُسمى في التوراة أور الكلدانيين.

وفيما يلي خرائط توضح مكان مولده عليه السلام حسب الراجح:





قال ابن كثير في البداية والنهاية:

"قَالُوا: وَلَمَّا كَانَ عُمُرُ تَارَخَ[1] خَمْسًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وُلِدَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَاحُورُ وَهَارَانُ. وَوُلِدَ لِهَارَانَ لُوطٌ.

وَعِنْدَهُمْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْأَوْسَطُ، وَأَنَّ هَارَانَ مَاتَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا، وَهِيَ أَرْضُ الْكَلْدَانِيِّينَ يَعْنُونَ أَرْضَ بَابِلَ. وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ السِّيَرِ وَالتَّوَارِيخِ وَالْأَخْبَارِ"[2].

١) تارخ: هو: آزر.
٢) البداية والنهاية (١/ ١٦١).

كان إبراهيم أشبه الناس بمحمد ﷺ

فعَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَذَكَرُوا لَهُ الدَّجَّالَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ، أَوْ ك ف ر، قَالَ: لَمْ أَسْمَعْهُ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: "أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ، وَأَمَّا مُوسَى فَجَعْدٌ آدَمُ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ مَخْطُومٍ بِخُلْبَةٍ[١] كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ انْحَدَرَ فِي الوَادِي"[٢].

نشأة إبراهيم في أرض الأصنام ورعاية الله له

نشأ إبراهيم في قوم يعبدون الأصنام، بل كان أبوه يصنع الأصنام ويبيعها ويقتات من ثمنها، فقد كان قوم إبراهيم يعبدون الأصنام ويقدسونها ويقدمون القرابين لها ويبنون المعابد لذلك، ويقوم على تلك المعابد سدنة يستعبدون الناس ويخدعونهم بأن أصنامهم المزعومة تستطيع أن تنفعهم وتضرهم؛ لذلك كانوا يقنعونهم بتقديم القرابين إلى تلك الآلهة المزعومة، وفي النهاية تلك القرابين وهذه الأموال تصب في جيوب وبطون الكهنة والسدنة.

وحمى الله سبحانه وتعالى نبيه وخليله- عليه السلام- من كل ذلك، فلم تمل فطرته السوية التي فطره الله عليها إلى عبادة الأصنام، ولا إلى صنعها.

زواج إبراهيم بسارة

سارة هي زوجة خليل الرحمن إبراهيم، قيل: هي بنت عمه، وقيل: بل بنت ملك حران، تركت دين قومها وآمنت وتزوجت بإبراهيم عليه السلام.

---

١) «مخطوم بخلبة»: الخلبة: الليف.

٢) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء -باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} - حديث: (٣٣٥٥).

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية»:

"قَالُوا- يقصد أهل التاريخ والسير: فَتَزَوَّجَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ وَنَاحُورُ مَلْكَا ابْنَةَ هَارَانَ؛ يَعْنُونَ: بِابْنَةِ أَخِيهِ.

قَالُوا: وَكَانَتْ سَارَةُ عَاقِرًا لَا تَلِدُ"(١).

آتاه الله النبوة والرسالة

شب وكبِر إبراهيم- عليه السلام- على هذه الفطرة السليمة، وآتاه الله النبوة والرسالة، وأمره الله بدعوة قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

متى بُعث إبراهيم- عليه السلام-

بُعث إبراهيم- عليه السلام- بعد نوح، وكان بيهما عشرة قرون، فعن أبي أُمَامَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَبِيًّا كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: "**نَعَمْ، مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ**" قَالَ: كَمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: "**عَشرة قُرُونٍ**" قَالَ: كَمْ بَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: "**عَشرة قُرُونٍ**" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ كَانَتِ الرُّسُلُ؟ قَالَ: "**ثَلَاثمِائَةٍ وَخَمْسَة عَشْرَ جَمًّا غَفِيرًا**"(٢).

وقد سبق وبَيَّنا ما المقصود بالقرن عند الكلام عن المدة بين نوح وإبراهيم، فليراجع هناك؛ منعًا للتكرار.

---

١) البداية والنهاية (١/ ١٦١).

٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم- حديث: (٣٠٣٩)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "على شرط مسلم"، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٥٧٣٧)، وصححه الوادعي في الصحيح المسند برقم (٤٨٠) وقال: "صحيح على شرط الشيخين".

الله يأخذ الميثاق على النبيين ومنهم إبراهيم الخليل ﷺ

وفي الواقع هما ميثاقان وليس ميثاقًا واحدًا، وسوف نتناولهما فيما يلي:

الميثاق الأول: الميثاق على أداء الأمانة وتبليغ الرسالة على أتم وجه

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾.

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَوَّلُهُمْ نُوحٌ ثُمَّ الأول فالأول"**[1].

فقد أخذ الله العهد على جميع النبيين بعبادة الله حق عبادته، والدعوة إلى ذلك، والقيام بأعباء تبليغ الرسالة حق التبليغ، والتحمل في سبيل ذلك الصعاب والأذى.

يقول الشيخ السعدي في «تفسيره»:

"يخبر تعالى أنه أخذ من النبيين عمومًا، ومن أولي العزم -وهم، هؤلاء الخمسة المذكورون- خصوصًا، ميثاقهم الغليظ وعهدهم الثقيل المؤكد، على القيام بدين الله والجهاد في سبيله، وأن هذا سبيل قد مشى الأنبياء المتقدمون، حتى خُتموا بسيدهم وأفضلهم محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وأمر الناس بالاقتداء بهم.

---

١) السنة، لابن أبي عاصم - باب (٤٠٧)، وحسن إسناده الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة بنفس الرقم، وأخرجه الضياء في المختارة، المجلد الثالث برقم (١١٦٠)، وحسن إسناده الدكتور ابن دهيش في المختارة بنفس الرقم.

وسيسأل الله الأنبياء وأتباعهم عن هذا العهد الغليظ؛ هل وفوا فيه وصدقوا، فيثيبهم جنات النعيم، أم كفروا، فيعذبهم العذاب الأليم؟ قال تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ}(1).

الميثاق الثاني: أخذ العهد والميثاق أنه إذا بُعث محمدٌ ﷺ وهم أحياء أن يؤمنوا به وينصروه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران].

إبراهيم يدعو أباه أولًا

لما كان الأقربون أولى بالمعروف؛ بدأ إبراهيم يدعو أباه إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام؛ التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ولا تملك له شيئًا، وأخبره أنه أُوتي النبوة من الله، وأنه مُرسلٌ مِنْ ربه لهداية الناس، وأن الله اختصه بعلم ليس عند غيره، ورغَّب إليه التوحيد وقال له: لو اتبعتني كنت على الطريق المستقيم الموصل إلى جنات النعيم في الآخرة، ونفَّره مِنْ عبادة الشيطان الذي يُزيّن له صناعة وعبادة الأصنام، وبيَّن له أن هذه الطريق عاقبتها السوء وفي الآخرة دخول النار، فينال فيها عذاب الله وسخطه سبحانه وتعالى.

فما وجد مِنْ أبيه غير العناد مُتَّهمًا إياه أنه يرغب عن دين آبائه وأجداه،

1) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص٦٥٩).

وزجره وحذَّره أنه لو استمر في دعوته فسوف يرجمه بالحجارة ويؤذيه، ويصب عليه العذاب الأليم، فما كان مِنْ إبراهيم عليه السلام إلا أن قال له: سلام عليك سأستغفر لك ربي؛ إنه بر لطيف بي، ولكني سوف أعتزلكم وأعتزل ما تعبدون من الأصنام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم: ٤١ - ٤٨].

استغفار إبراهيم لأبيه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة].

ظل إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه كما وعده، حتى تبين له أنه عدو لله متبعٌ للشيطان كافر بمولاه، وأنه سوف يموت على الكفر، وأنه لن ينفعه الوعظ والتذكير، فلما علم ذلك انتهى عن الاستغفار له وتبرأ مِنْ أبيه طاعة لمولاه.

إبراهيم يدعو قومه

بدأ إبراهيم يدعو قومه إلى عبادة الله، ويخبر قومه أن هذه الأصنام لا تملك لهم شيئًا؛ فهي لا تملك لنفسها ضرًّا ولا نفعًا، فكيف تنفعكم أو تضركم؟!

وحاول إبراهيم إقناع قومه بالحجة والمنطق والعقل، وعندما خرجوا في يوم من الأيام إلى عيدهم وتركوا البلدة، عمدَ إبراهيم إلى المعبد الذي يوجد فيه أصنامهم، وقام بتكسير هذه الأصنام جميعًا بفأسه إلا كبيرهم، وعلَّق إبراهيم الفأس في كتف الصنم الكبير.

ولما عاد القوم من العيد ووجدوا ما حل بمعبدهم؛ أصابهم الفزع على آلهتهم المزعومة، وصاروا يتسألون: مَنْ فعل هذا بآلهتنا؟ وحينها قال بعض الناس: سمعنا فتى يذكر تلك الأصنام بالسوء ويقول: إنها لا تنفع ولا تضر، واسمه إبراهيم.

وعندما وصل الأمر إلى الملك استدعى إبراهيم وسأله: أأنت فعلت هذا بآلهتنا؟ قال إبراهيم: بل فعله الصنم الكبير فسْألوه.

وعندها بُهت المَلِك وبهت القومُ جميعًا؛ لأنهم عندما عادوا إلى عقولهم وقرارة أنفسهم؛ علموا أن أصنامهم لا تستطيع أن تنطق، ولا تستطيع أن ترفع فأسًا، ولا أن تفعل أي شيء، وهنا كان على المَلِك أن يتدارك الموقف حتى لا يدخل الناس في دين الله أفواجًا، وكذلك الملوك في كل زمان ومكان يخشَوْن على مُلكهم وسلطانهم، ولا يعبؤون بدين أو شريعة أو صلاح الناس.

محاولة التخلص من إبراهيم وإنجاء الله له

عند ذلك كان لا بد مِنَ التخلص مِنْ إبراهيم، فأمرهم المَلِك أن يصنعوا نارًا

كبيرة، وأن يلقوا إبراهيم فيها؛ ظنًا منه أنه بموت إبراهيم يمكث الناس على دينهم وكفرهم، ويستطيع هو أن يستعبدهم؛ لأن الدين لا يرضى بالعبودية إلا لله، فإذا ما صاروا مسلمين موحدين سوف يخرجون مِنْ عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وسيكون المَلِك -وهم سواسية على صعيد واحد- له ما لهم وعليه ما عليهم، والمَلِك الظالم المتجبر لا يرضى بذلك أبدًا.

وعندما أُلقي إبراهيم في النار قال الله: يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم؛ لأنه لو قال لها: كوني بردًا فقط؛ لتأذى إبراهيم مِنْ شدة البرد، وعندها قال إبراهيم وهو في النار: {حسبنا الله ونعم الوكيل}؛ أي: أن الله هو الذي يكفيه مِنْ كلِّ شر، وعندما خبت النار خرج إبراهيم منها، ولم يصبه أذى أو مكروهٌ.

وخرج إبراهيم عليه السلام من النار سليمًا معافى في وسط ذهول الحاضرين، وأنجاه الله من النار. وتلك كانت معجزة للخليل إبراهيم عليه السلام.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، {حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ} "قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]"(١).

وعَنْ عَلِيٍّ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ قَالَ: «لَوْلا أَنَّهُ قَالَ: {وَسَلَٰمًا} لَقَتَلَهُ بَرْدُهَا»(٢).

---

١) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن- سورة آل عمران - باب {إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم...} الآية (٤٥٦٣).

٢) شعب الإيمان، للبيهقي - حديث: (٨٩٦٢)، وحسن إسناده الدكتور عبد العلي عبد الحميد في المصدر السابق بنفس الرقم.

وكان الوزغ -أو ما يسمى بالبرص أو البريعص- ينفخ في النار كيدًا في إبراهيم عليه السلام؛ لذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله:

فعَنْ أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الوَزَغِ، وَقَالَ: «**كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ**"[1].

واستمر إبراهيم عليه السلام في دعوة الناس إلى توحيد الله سبحانه وتعالى قائلًا لهم: إن ربي هو الذي خلقني، وهو الذي يهديني، وهو الذي يطعمني، وهو الذي يسقيني، وهو الذي يشفيني؛ فهو خالق كل شيء وبيده ملكوت كل شيء، وقادر على كل شيء.

وعندما علم الملك أنه لا سبيل إليه، وأنه سوف يفتن الناس ويدخلون في دينه، وعند ذلك كان القرار أن يطرد إبراهيم ومَنْ معه مِنْ مملكته، فقام بطردهم، فخرج إبراهيم فارًّا بدينه ومعه بعض أهله، فكان معه لوطٌ وزوجته سارة، وقيل: كان معه أبوه وأخوه هاران وزوجته ملكا، ولم يكونا مؤمنين.

ولم يحاول المَلِك قتله مرة أخرى؛ لأنه كان يعلم بعد محاولة إحراقه بالنار أنه مُؤَيَّد، ولو مسه بشر فربما أصابه مكروه وشر مِنْ إله إبراهيم؛ لذلك آثر السلامة لنفسه واكتفى بطرد إبراهيم.

وخرج إبراهيم متجهًا شمالًا حتى وصل إلى حران في جنوب تركيا الآن.

يقول تعالى في تفصيل هذه الأحداث: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ

١) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]، حديث: (٣٣٥٩).

أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء:٥١-٧١].

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية» عن محاولة إحراق إبراهيم:

"عَدَلُوا عَنِ الْجِدَالِ وَالْمُنَاظَرَةِ لَمَّا انْقَطَعُوا وَغُلِبُوا، وَلَمْ تبقَ لَهُمْ حجَّةٌ وَلَا شُبْهَةٌ إِلَى اسْتِعْمَالِ قُوَّتِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ؛ لِيَنْصُرُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ سَفَهِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، فَكَادَهُمُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ وَدِينَهُ وَبُرْهَانَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ

ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾} [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ شَرَعُوا يَجْمَعُونَ حَطَبًا مِنْ جَمِيعِ مَا يُمْكِنُهُمْ مِنَ الْأَمَاكِنِ، فَمَكَثُوا مُدَّةً يَجْمَعُونَ لَهُ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْهُمْ كَانَتْ إِذَا مَرِضَتْ تَنْذِرُ: لَئِنْ عُوفِيَتْ لَتَحْمِلَنَّ حَطَبًا لِحَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ.

ثُمَّ عَمَدُوا إِلَى جَوْبَةٍ عَظِيمَةٍ(١) فَوَضَعُوا فِيهَا ذَلِكَ الْحَطَبَ وَأَطْلَقُوا فِيهِ النَّارَ، فَاضْطَرَمَتْ وتأججت والتهبت وعلا لها شَرَرٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ قَطُّ. ثُمَّ وَضَعُوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق صَنَعَهُ لَهُمْ رَجُلٌ مِنَ الْأَكْرَادِ يُقَالُ لَهُ هزن، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَنَعَ الْمَجَانِيقَ، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَخَذُوا يُقَيِّدُونَهُ وَيُكَتِّفُونَهُ وَهُوَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الْمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَمَّا وُضِعَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كِفَّةِ الْمَنْجَنِيقِ مُقَيَّدًا مَكْتُوفًا، ثُمَّ أَلْقَوْهُ مِنْهُ إِلَى النَّارِ قَالَ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ حِينَ قِيلَ لَهُ: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ...} الْآيَةَ [آل عِمْرَانَ: ١٧٣].

...وَذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ أَنَّ جِبْرِيلَ عَرَضَ لَهُ فِي الْهَوَاءِ فَقَالَ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا.

وصار إبراهيم عليه السلام في ميل الجوبة حَوْلَهُ النَّارُ وَهُوَ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَلَا هُوَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ... فَأَرَادُوا أَنْ يَنْتَصِرُوا فخُذلوا، وَأَرَادُوا أَنْ يَرْتَفِعُوا فَاتَّضَعُوا، وَأَرَادُوا أَنْ

١) «جوبة عظيمة»: حفرة عظيمة.

يَغْلِبُوا فغُلبوا"[1].

هجرة إبراهيم ﷺ مِنْ بابل إلى الأرض المقدسة مرورًا بحران

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية»:

"انْطَلَقَ تَارَخُ "آزر" بِابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ وَامْرَأَتِهِ سَارَةَ وَابْنِ أَخِيهِ لُوطِ بْنِ هَارَانَ، فَخَرَجَ بِهِمْ مِنْ أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ، فَنَزَلُوا حَرَّانَ فَمَاتَ فِيهَا تَارَخُ وَلَهُ مِائَتَانِ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّه لَمْ يُولَدْ بِحَرَّانَ، وَإِنَّمَا مَوْلِدُهُ بِأَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَهِيَ أَرْضُ بَابِلَ وَمَا وَالَاهَا.

ثُمَّ ارْتَحَلُوا قَاصِدِينَ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ، وَهِيَ بِلَادُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَقَامُوا بِحَرَّانَ وَهِيَ أَرْضُ الْكَشْدَانِيِّينَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَكَذَلِكَ أَرْضُ الْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ أَيْضًا، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ.

وَالَّذِينَ عَمَّرُوا مَدِينَةَ دِمَشْقَ كَانُوا عَلَى هَذَا الدِّينِ يَسْتَقْبِلُونَ الْقُطْبَ الشَّمَالِيَّ، وَيَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْفَعَالِ وَالْمَقَالِ.

وَلِهَذَا كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ دِمَشْقَ السَّبْعَةِ الْقَدِيمَةِ هَيْكَلٌ لِكَوْكَبٍ مِنْهَا، وَيَعْمَلُونَ لَهَا أَعْيَادًا وَقَرَابِينَ.

وَهَكَذَا كَانَ أَهْلُ حَرَّانَ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالْأَصْنَامَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَانُوا كُفَّارًا سِوَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَامْرَأَتِهِ وَابْنِ أَخِيهِ لُوطٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[2].

---

١) البداية والنهاية (١/ -١٦٩،١٦٨) بتصرف يسير، بحذف للآثار التي لم تثبت وليس فيها حجة.

٢) البداية والنهاية (١/ ١٦١).

وفيما يلي صورة للمسار المقترح الذي سلكه الخليل إبراهيم من أور في جنوب العراق إلى حران جنوب تركيا، ثم إلى دمشق ثم مدينة الخليل ثم إلى مصر ثم إلى مدينة الخليل ثم إلى مكة:(١)



١) الصورة منقولة من أطلس الأنبياء، لسامي المغلوث (ص ١٠٥).

١ هاجر إبراهيم عليه السلام من أرض أور بجنوب العراق ومعه أخوه هاران وزوجه ملكا ولم يكونا مؤمنين ، وابن أخيه لوط الذي آمن بدعوة إبراهيم إضافة إلى زوجته سارّة ابنة عمه ، كما سافر معه أبوه آزر خوفاً عليه حتى وصل الجميع إلى بلدة حرّان في تركيا اليوم وهناك مات آزر .

٢ أثناء وصول الجميع إلى حرّان كان الناس فيها يعبدون الكواكب أيضاً فنهاهم إبراهيم عن ذلك وأصروا واستكبروا واستمروا في ضلالتهم ، فتوجه إبراهيم صوب بلاد الشام حتى حل به المقام في فلسطين .

٣ مر إبراهيم في طريقه على دمشق ثم واصل رحلته إلى شرق بيت المقدس ثم تابع إلى البلدة التي عرفت باسمه وهي مدينة الخليل فأقام فيها ، فجاءت سنوات عجاف فارتحل إلى مصر ، في الوقت الذي أمر الله سبحانه ابن أخيه لوط عليه السلام بالتوجه نحو غور الأردن لدعوة أهل سدوم وعمورة بالعدول عن فاحشة اللواط التي كانوا يمارسونها .

٤ بعد القحط الذي أصاب بلاد الشام هاجر إبراهيم وزجه سارّة إلى مصر فلما رآها الملك الفرعوني أرادها لنفسه ، لكن الله يسر لها النجاة من هذا الطاغية ، بل قدم لها أمَة تُدعى هاجر لتخدمها ، فعاد الخليل ومعه زوجه سارّة وأمتها هاجر إلى منطقة الخليل ، واستقر مقامهم فيها .

٥ بعد عشرين عاماً من الزواج لم تنجب سارّة لإبراهيم ولداً فقالت : لزوجها أرى أن تتزوج هاجر عسى الله أن يرزقنا منها غلاماً ، ففعل فرزقه الله منها إسماعيل عليه السلام ، فدبت الغيرة في نفس سارّة فطلبت من زوجها تغييب الأم وابنها عن وجهها ، فقام إبراهيم بالسير بها نحو الجنوب إلى موضع مكة المكرمة فتركهما هناك وعاد بعد أن دعا لهم بدعوة طيبة (اقرأ الآيات من على الخريطة السابقة) ،وكان إسماعيل رضيعاً .وسوف أقوم بتوضيح بقية القصة عند الحديث عن بعثة إسماعيل عليه السلام .

ترجيح أن المَلِك الذي أمر بإحراق إبراهيم ليس النمرود

قيل: إن المَلِك الذي أمر بإحراق إبراهيم هو النمرود، والنمرود كان من الكنعانيين، وإبراهيم- عليه السلام- كان في بابل تحت حكم الكلدانيين، فكيف ذلك؟ فمن أمر بإحراقه ؟ ملك بابل أم ملك كنعان؟

ليس هناك دليل موثق معتمد في ذلك، وقد اختلف العلماء والمفسرون في ذلك، ونرجح أن قصة النار حدثت في بابل، ثم هاجر إبراهيم إلى الأرض المقدسة بنص القرآن، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

إذًا، فقد كان إبراهيم في بابل ثم دارت أحداث القصة فيها، ثم أنجاه الله إلى

الأرض التي بارك فيها للعالمين، وهي الأرض المقدسة، وكانت تحت سيطرة الكنعانيين، وكان ملكهم هو النمرود بن كنعان؛ الذي دار بينه وبين إبراهيم المناظرة الشهيرة التالية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

فالملك الأول لم يجادل إبراهيم، بل أمر بإحراقه، وعندما فشل في التخلص منه أمر بطرده لكي يستريح مِنْ بلائه، وعندما ذهب إبراهيم إلى أرض كنعان كانوا يعبدون الشمس والكواكب، وعندما دارت بينه وبين إبراهيم المناظرة وقال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، قال له الملك: أنا أحيي وأميت، وجاء برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، فجاء إبراهيم- عليه السلام- بشيء من جنس ما يعبدون ويعرِفون وهي الشمس فقال له: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب، فلم يستطع وبُهت الذي كفر، هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

المرحلة الثانية: مقام إبراهيم بحبرون "مدينة الخليل"

عندما وصل إبراهيم عليه السلام إلى مدينة حبرون، استقر به المقام فيها، وسُميت بعد ذلك بمدينة الخليل، وظل إبراهيم عليه السلام يدعو الناس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة مَنْ سواه.

إقامة إبراهيم الحجة على عبدة الكواكب

كانت الشام يحكمها الكنعانيون، وكان ملكهم النمرود بن كنعان، وكان أهل الشام يعبدون الكواكب، وينسبون إليها الفعل، وأنها تتحكم في مصير الناس، فدعاهم إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وترك عبادة تلك الكواكب، واستخدم معهم أسلوب الإقناع كما استخدمه مِنْ قَبْلُ مع أهل بابل.

حيث نظر إبراهيم ليلًا إلى كوكب مِنَ الكواكب المضيئة، فقال لهم: هذا ربي، فلما اختفى قال: لا أحب الآفلين، كيف للرب أن يختفي؟! إذ يجب أن يكون حاضرًا أبدًا؛ ليدبر شؤون خلقه.

وعندما رأى القمر ظاهرًا منيرًا، قال لهم: هذا ربي، فلما اختفى بنهاية الليل قال: لئن لم يهدني ربي ويرشدني إلى الصواب سأكون من الضالين عن الطريق الصحيح.

فلما رأى الشمس ظاهرة ساطعة قال لهم: هذا ربي هذا أكبر؛ أي: أن الشمس أكبر مِنَ الكوكب وأكبر مِنَ القمر، فلما غربت الشمس وغابت قال لهم: إني بريء مِنْ هذه الآلهة الباطلة؛ إني آمنت برب الكوكب ورب القمر ورب الشمس؛ الذي خلقهم وسيرهم، والذي خلق السموات والأرض بكل ما فيها من نجومٍ وكواكبَ وأنهارٍ وبحار وأشجار، وغير ذلك.

وجادله قومه في حُجَّته التي ساقها لهم وخوفوه مِنْ آلهتهم الباطلة أن تصيبه بسوء، فرد عليهم قائلًا: أتجادلونني في الله وقد هداني إلى ما أنا فيه من الحق؟! وكيف أخاف مِنْ هذه الآلهة المزعومة الباطلة التي لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعًا ولا ضرًّا، ولا تخافون أنتم من الإله الحق؟! وحُجَّة إبراهيم ألهمه الله إياها

ليقيم الحجة على قومه(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٨٣ ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٨٣].

المناظرة بين النمرود وإبراهيم عليه السلام

عندما أقام إبراهيم الحجة على هؤلاء الناس ولم يستطيعوا ردًّا، تدخل مَلِكهم النمرود حتى يوقف دعوة إبراهيم، فجاء بإبراهيم ليناظره فقال له: مَنْ

---

١) يقول ابن كثير في «البداية والنهاية» عن إقامة الحجة على قومه، مرورًا برؤيته للكوكب والقمر والشمر ومجادلتهم إياه: "الظاهر أن هذا حدث في حران".

قلت: ولا دليل على ذلك؛ ربما حدث في حران وربما حدث في الخليل، فحران والشام كانتا تعبدان الكواكب والنجوم.

ربك يا إبراهيم الذي تدعو إليه؟ قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، قال له الملك: أنا أحيي وأميت، وجاء برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، وهذا تشغيب على الناس، فليس في هذا إحياء للميت ولا إماتة للحي، ولكنه قتل أحدهما وترك الآخر، فجاء إبراهيم- عليه السلام- بشيء من جنس ما يعبدون ويعرفون وهي الشمس، فقال له: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فآتِ بها مِنَ المغرب، فلم يستطع وبُهت الذي كفر؛ حيث أتاه إبراهيم عليه السلام بحجة دامغة لا ينفع معها التشغيب؛ حيث قال له: إن كنت ربًّا كما تزعم وتحيي وتميت وتستطيع أن تفعل كل شيء، فأخرج لنا الشمس من المغرب؛ فبُهت الملك الكافر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

ولكن مَنْ هو النمرود؟ وكيف أهلكه الله؟

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»:

"قَالَ الْمُفَسِّرُونَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ النَّسب وَالْأَخْبَارِ: وَهَذَا الْمَلِكُ هو ملك بابل (١)، واسمه النمرود بن كَنْعَانَ بْنِ كُوشِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: نُمْرُودُ بْنُ فَالِحِ بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ.

١) **قلت**: بل الظاهر مِنْ سياق الأدلة أنه ملك كنعان وليس ملك بابل، فبابل كانت تحت حكم الكلدانيين، والشام كانت تحت حكم الكنعانيين، والله أعلم.

قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: وَكَانَ أَحَدَ مُلُوكِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهُ قَدْ مَلَكَ الدُّنْيَا فِيمَا ذَكَرُوا أَرْبَعَةٌ: مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ.

فَالْمُؤْمِنَانِ: ذُو الْقَرْنَيْنِ وَسُلَيْمَانُ.

وَالْكَافِرَانِ: النُّمْرُودُ وبُخْتنَصَّرَ، وَذَكَرُوا أن نمرود هَذَا اسْتَمَرَّ فِي مُلْكِهِ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ قَدْ طَغَا وَبَغَا وَتَجَبَّرَ وَعَتَا، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا"(١).

وقال أيضًا:

"رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ النُّمْرُودَ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ، وَكَانَ النَّاسُ يَفِدُونَ إِلَيْهِ لِلْمِيرَةِ، فَوَفَدَ إِبْرَاهِيمُ فِي جُمْلَةِ مَنْ وَفَدَ لِلْمِيرَةِ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا هَذِهِ الْمُنَاظَرَةُ، وَلَمْ يُعْطَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الطَّعَامِ كَمَا أُعطي الناس، بل خرج وليس معه شيء مِنَ الطَّعَامِ.

فلمَّا قَرُبَ مِنْ أَهْلِهِ عَمَدَ إِلَى كَثِيبٍ مِنَ التُّرَابِ فَمَلأَ مِنْهُ عِدْلَيْهِ، وَقَالَ: أَشْغَلُ أَهْلِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ وَضَعَ رِحَالَهُ وَجَاءَ فَاتَّكَأَ فَنَامَ، فَقَامَتِ امْرَأَتُهُ سَارَةُ إِلَى الْعِدْلَيْنِ، فَوَجَدَتْهُمَا مَلآنَيْنِ طَعَامًا طَيِّبًا، فَعَمِلَتْ مِنْهُ طَعَامًا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ إِبْرَاهِيمُ وَجَدَ الَّذِي قَدْ أَصْلَحُوهُ، فَقَالَ: أَنَّى لَكُمْ هَذَا؟ قَالَتْ: مِنَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ، فَعَرَفَ أنه رزقٌ رزقهموه الله عزوجل.

قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: وَبَعَثَ اللهُ إِلَى ذَلِكَ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ مَلَكًا يَأْمُرُهُ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ فَأَبَى عَلَيْهِ، ثُمَّ دَعَاهُ الثَّانِيَةَ فَأَبَى عَلَيْهِ، ثُمَّ الثَّالِثَةَ فَأَبَى عَلَيْهِ.

وَقَالَ: اجْمَعْ جُمُوعَكَ وَأَجْمَعُ جُمُوعِي، فَجَمَعَ النُّمْرُودُ جَيْشَهُ وَجُنُودَهُ وَقْتَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِ ذُبَابًا مِنَ الْبَعُوضِ؛ بِحَيْثُ لَمْ يَرَوْا عَيْنَ الشَّمْسِ وَسَلَّطَهَا الله عليهم، فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظامًا بادية،

---

١) البداية والنهاية (١/ ١٧١).

ودخلت واحدة منها في منخر الملك، فمكثت في منخره أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ عَذَّبَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَا، فَكَانَ يضرب رأسه بالمزارب فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ كُلِّهَا حَتَّى أَهْلَكَهُ اللهُ عز وجل بها"(١).

المرحلة الثالثة: هجرته إلى مصر

سبب الهجرة

بعد أن هاجر إبراهيم عليه السلام مِنْ بابل بالعراق إلى حران في جنوب تركيا، ثم إلى الأرض المقدسة في فلسطين، واستقر هناك، وبعد مدة من الزمن أصاب المنطقةَ قحطٌ وشدةٌ ومجاعة، فارتحلوا إلى مصر.

محاولة ملك مصر النيل من سارة عليها السلام

وهناك عندما رأى زبانية ملك مصر سارة أوشوا بها لدى الملك قائلين: إنه توجد امرأة حسناءُ بصحبة رجل، فأرسل المَلِك إلى إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وسأله: من هذه؟ قال: أختي، وأرسل إليها المَلِك، فلما دخلت عليه أراد بها الفاحشة وأراد أن يلمسها، فشَلَّ الله يده وتوقفت حركاتها، فقال لها: ادعي لي ولا أضركِ، فدعت الله، فأطلق الله يده، ثم أراد أن يتناولها ثانية فأُخذ، فقال لها: ادعي لي ولا أنالك بسوء، فدعت الله فأطلقه، ثم عاد الثالثة فشُلت يده، فقال لها: ادعي لي وأتركِكِ وشأنكِ، فدعت الله فأطلقها، وأعطاها هاجر لتكون في خدمتها وتركها تذهب، وقال الملك لزبانيته: لقد أتيتموني بشيطان

---

١) البداية والنهاية (١/ ١٧٢).

قلت: وليس في قول زيد بن أسلم حجة؛ لأنه تابعي، حتى وإن صح الأثر عنه إلا أن يكون تلقاه عن أحد الصحابة؛ الذي تلقاه -بدوره- عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإنه يتحدث عن أمر غيبي من الماضي بينه وبينه آلاف السنين. وبحثت عن الأثر في مصنف عبد الرزاق، وفي جامع معمر فلم أعثر عليه.

ولم تأتوني بإنسان.

وأطلقها الملك وأعطاهم مالًا كثيرًا وأنعامًا وعبيدًا.

وكانت هذه كرامة لها عليها السلام؛ أن الله عصمها من الملك الكافر الفاجر وأخذ يده عنها، ومنعها منه وأصابه الشلل، وتلك كرامتها الأولى، وكرامتها الثانية أنه عندما كانت تدعو الله ليطلق يده؛ كان الله يستجيب دعاءها في كل مرة ويطلق يده، وتلك معجزة أيضًا لخليل الرحمن إبراهيم، فقد حفظ الله له زوجته.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَوْلُهُ: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ٨٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ، لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي، فَلَا تُكَذِّبِينِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ لِي وَلَا أَضُرُّكِ، فَدَعَتِ اللهَ فَأُطْلِقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ لِي وَلَا أَضُرُّكِ، فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ، فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ، فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: مَهْيَا(١)، قَالَتْ: رَدَّ اللهُ كَيْدَ الكَافِرِ -أَوِ الفَاجِرِ- فِي نَحْرِهِ، وَأَخْدَمَ هَاجَرَ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ

١) «مهيا»: ما شأنك؟

السَّمَاءِ[١].

✪ **وفي رواية للبخاري:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَارَةَ، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ المُلُوكِ -أَوْ: جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ- فَقِيلَ: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: لَا تُكَذِّبِي حَدِيثِي، فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي، وَاللهِ إِنْ عَلَى الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي، فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي، إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ**"، قَالَ الأَعْرَجُ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: "**قَالَتِ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ يُقَالُ: هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ تُصَلِّي، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي، فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ هَذَا الكَافِرَ، فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ**"[٢]، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "**فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ إِنْ يَمُتْ فَيُقَالُ: هِيَ قَتَلَتْهُ، فَأُرْسِلَ فِي الثَّانِيَةِ -أَوْ فِي الثَّالِثَةِ- فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ إِلَّا شَيْطَانًا، ارْجِعُوهَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَعْطُوهَا آجَرَ**[٣]**، فَرَجَعَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللهَ كَبَتَ الكَافِرَ وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً**[٤]"[٥]

---

١) صحيح البخاري – حديث: (٣٣٥٨).
٢) «**فغط**»: فاختنق.
٣) «**آجر**»: المراد: هاجر.
٤) «**أخدم وليدة**»: أَمَة للخدمة.
٥) صحيح البخاري – كتاب البيوع- باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه –

وبعد أن عادوا إلى الأرض المقدسة استقروا هناك.

وقيل: إن الملِك أهداهم أنعامًا وعبيدًا ومالًا كثيرًا.

الأمور المستفادة من قصة سارة سالفة الذكر

١- أنه يجوز أن يرتحل المرء من دياره فرارًا بدينه، ويجوز له إذا ضُيق عليه في العيش أن يرتحل؛ طلبًا للميرة والمأوى والطعام.

٢- أن مَنِ اعتصم بالله عصمه الله وحماه وحفظه ونجاه، كما أنجى سارة من ذلك الملك الكافر الفاجر.

٣- أن الله يدافع عن الذين آمنوا، ويُظهر لهم من الكرامات التي تؤيدهم وتظهر صدق دعوتهم وصدقهم وإخلاصهم.

حديث: (٢٢١٧).

المرحلة الرابعة: عودته إلى مدينة الخليل ومقامه فيها

عودته إلى الأرض المقدسة

عاد إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المقدسة مرة أخرى، وبصحبته هاجر المصرية ومعه مال جزيل وأنعام وعبيد.

واستقر إبراهيم مرة أخرى بمدينة الخليل يدعو الناس إلى دين الله سبحانه وتعالى.

إرسال لوط عليه السلام إلى المؤتفكة ووقوعه في الأسر

أمر الله لوطًا عليه السلام أن يذهب لدعوة المؤتفكة الذين كانوا يفعلون الفواحش جنوب البحر الميت؛ حيث كانوا يعيشون في مدينة سدوم، بالإضافة إلى قرى أخرى، منها: دومة وعاموراء وحيوان وغيرها، وكان البحر الميت يلقب سابقًا ببحيرة لوط.

وساق لوط معه أموالًا جزيلة بأمر الخليل إبراهيم؛ لتكون عونًا له في دعوته، ثُمَّ إِنَّ طَائِفَةً مِنَ الْجَبَّارِينَ تَسَلَّطُوا عَلَى لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَسَرُوهُ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُ وَاسْتَاقُوا أَنْعَامَهُ.

إبراهيم الخليل ﷺ يخرج في جيش لاستنقاذ لوط عليه السلام

لَمَّا بَلَغَ الخبر إبراهيم الخليل، سَارَ إِلَيْهِمْ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا فاستنقذ لوطًا عليه السلام واسترجع أَمْوَالَهُ، وَقَتَلَ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ الكثير، وَهَزَمَهُمْ وذهب فِي آثَارِهِمْ حَتَّى وَصَلَ إلى شرقي دِمَشْقَ، ثُمَّ رَجَعَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا إِلَى بِلَادِهِ، وَتَلَقَّاهُ مُلُوكُ بِلَادِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مُعَظِّمِينَ لَهُ مُكْرِمِينَ

خَاضِعِينَ. وَاسْتَقَرَّ بِبِلَادِهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

يقول ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية»:

"الْخَلِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجَعَ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ التَّيَمُّنِ، وهي الأرض المقدسة التي كَانَ فِيهَا وَمَعَهُ أَنْعَامٌ وَعَبِيدٌ وَمَالٌ جَزِيلٌ، وَصَحِبَتْهُمْ هَاجَرُ الْقِبْطِيَّةُ الْمِصْرِيَّةُ، ثُمَّ إِنَّ لُوطًا عليه السلام نزح بماله مِنَ الْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةِ بِأَمْرِ الْخَلِيلِ لَهُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَرْضِ الْغَوْرِ الْمَعْرُوفِ بِغَوْرِ زُغَرَ، فَنَزَلَ بِمَدِينَةَ سَدُومَ، وَهِيَ أُمُّ تِلْكَ الْبِلَادِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَكَانَ أَهْلُهَا أَشْرَارًا كُفَّارًا فُجَّارًا.

وَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ فأمره أَنْ يَمُدَّ بَصَرَهُ وَيَنْظُرَ شَمَالًا وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، وبشَّره بِأَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ كُلَّهَا سَأَجْعَلُهَا لَكَ وَلِخَلَفِكَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، وَسَأُكْثِرُ ذُرِّيَّتَكَ حَتَّى يَصِيرُوا بِعَدَدِ تُرَابِ الْأَرْضِ.

وَهَذِهِ الْبِشَارَةُ اتَّصَلَتْ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ، بَلْ مَا كَمَلَتْ وَلَا كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْهَا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

يُؤَيِّدُ ذَلِكَ: قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم "**إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زَوَى لِي مِنْهَا**".

قَالُوا: ثُمَّ إِنَّ طَائِفَةً مِنَ الْجَبَّارِينَ تَسَلَّطُوا عَلَى لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَسَرُوهُ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُ وَاسْتَاقُوا أَنْعَامَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ الخبر إبراهيم الخليل سَارَ إِلَيْهِمْ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فاستنقذ لوطًا عليه السلام واسترجع أَمْوَالَهُ وَقَتَلَ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ وَرَسُولِهِ خَلْقًا كَثِيرًا، وَهَزَمَهُمْ وَسَاقَ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى وَصَلَ إلى شرقي دِمَشْقَ، وَعَسْكَرَ بِظَاهِرِهَا عِنْدَ بَرْزَةَ، وَأَظُنُّ مَقَامَ إبراهيم إنما سُمِّيَ؛ لأنه كان مَوْقِف جَيْشِ الْخَلِيلِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ رَجَعَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا إِلَى بِلَادِهِ، وَتَلَقَّاهُ مُلُوكُ بِلَادِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مُعَظِّمِينَ لَهُ مُكْرِمِينَ خَاضِعِينَ.

وَاسْتَقَرَّ بِبِلَادِهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ[1].

زواج الخليل بهاجرَ ومولدُ إسماعيل عليه السلام

كانت سارة عليها السلام زوجة الخليل إبراهيم عاقرًا لا تلد، واشتاق إبراهيم عليه السلام ولدًا يعينه على أعباء الرسالة ويتكئ عليه في كِبَره، وحينها تزوج إبراهيم عليه السلام بهاجر المصرية.

ودعا ربه أن يهبه غلامًا صالحًا، فبشَّره الله بأنه سوف يُرزق بغلام حليم، فرُزق بإسماعيل- عليه السلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصافات].

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية»:

"قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ[2]: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ اللهَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً، وإِنَّ اللهَ بَشَّرَهُ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ ببلاد بيت المقدس عشرون سنة، قَالَتْ سَارَةُ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الرَّبَّ قَدْ أَحْرَمَنِي الْوَلَدَ، فَادْخُلْ عَلَى أَمَتِي هَذِهِ لعلَّ الله يرزقني مِنْهَا وَلَدًا، فَلَمَّا وَهَبَتْهَا لَهُ دَخَلَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَحِينَ دَخَلَ بِهَا حَمَلَتْ مِنْهُ.

قَالُوا: فَلَمَّا حَمَلَتِ ارْتَفَعَتْ نَفْسُهَا وَتَعَاظَمَتْ عَلَى سَيِّدَتِهَا، فَغَارَتْ مِنْهَا سَارَةُ، فَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهَا: افْعَلِي بِهَا مَا شِئْتِ، فَخَافَتْ هَاجَرُ

---

١) البداية والنهاية (١/ ١٧٦).

٢) يجوز التحديث عن أهل الكتاب، ولكن لا نصدقهم ولا نكذبهم فيما لم يُذكر لنا.

فَهَرَبَتْ فَنَزَلَتْ عِنْدَ عَيْنٍ هُنَاكَ، فَقَالَ لَهَا مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: لَا تَخَافِي؛ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ مِنْ هَذَا الْغُلَامِ الذي حملت خيرًا، وَأَمَرَهَا بِالرُّجُوعِ وبشَّرها أَنَّهَا سَتَلِدُ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ إِسْمَاعِيلَ، وَيَكُونُ وَحش النَّاسِ يَدهُ عَلَى الْكُلِّ، وَيَدُ الْكُلِّ بِهِ، وَيَمْلِكُ جَمِيعَ بِلَادِ إِخْوَتِهِ، فشكرت الله عز وجل عَلَى ذَلِكَ.

وَهَذِهِ الْبِشَارَةُ إِنَّمَا انْطَبَقَتْ عَلَى وَلَدِهِ مُحَمَّدٍ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- فَإِنَّهُ الَّذِي سَادَتْ بِهِ الْعَرَبُ وَمَلَكَتْ جَمِيعَ الْبِلَادِ غَرْبًا وَشَرْقًا، وَآتَاهَا اللهُ مِنَ الْعِلْمِ النَّافع والعمل الصالح ما لم تؤتَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِشَرَفِ رَسُولِهَا عَلَى سَائِرِ الرُّسُلِ، وَبَرَكَةِ رِسَالَتِهِ وَيُمْنِ بِشَارَتِهِ، وَكَمَالِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ، وَعُمُومِ بعْثَتِهِ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ.

وَلَمَّا رَجَعَتْ هَاجَرُ وضعت إسماعيل عليه السلام. قالوا: وولدته وَلِإِبْرَاهِيمَ مِنَ الْعُمُرِ سِتٌّ وَثَمَانُونَ سَنَةً قَبْلَ مولد إسحاق بِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً. وَلَمَّا وُلِدَ إِسْمَاعِيلُ أَوْحَى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق مِنْ سَارَةَ، فَخَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا وَقَالَ لَهُ: قَدِ اسْتَجَبْتُ لَكَ فِي إِسْمَاعِيلَ، وَبَارَكْتُ عَلَيْهِ وكثَّرته ونميته جدًّا كثيرًا، وَيُولَدُ لَهُ اثْنَا عَشَرَ عَظِيمًا، وَأَجْعَلُهُ رَئِيسًا لِشَعْبٍ عَظِيمٍ. وَهَذِهِ أَيْضًا بِشَارَةٌ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَهَؤُلَاءِ الِاثْنَا عَشَرَ عَظِيمًا هُمُ الْخُلَفَاءُ الراشدون الِاثْنَا عَشَرَ المبشَّر بِهِمْ فِي حَدِيثِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا**"، ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً لَمْ أَفْهَمْهَا، فَسَأَلْتُ أَبِي مَا قَالَ، قَالَ: "**كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**". أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «**لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ قَائِمًا**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**عَزِيزًا حَتَّى يَكُونَ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً، كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**».

فهؤلاء منهم الأئمة الأربعة: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ.

وَمِنْهُمْ: عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَيْضًا.

وَمِنْهُمْ: بَعْضُ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ اثْنَيْ عَشَرَ نسقًا، بل لا بد مِنْ وُجُودِهِمْ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْأَئِمَّةَ الِاثْنَيْ عَشَرَ الذين يَعْتَقِدُ فِيهِمْ الرَّافِضَةُ..."[1].

المرحلة الخامسة: هجرته إلى مكة بصحبة هاجر وإسماعيل

وضع إبراهيم عليه السلام هاجر وولده الرضيع عند مكة، وكان هذا امتثالًا لأمر الله ولأمر قدره الله سبحانه وتعالى، وكانت مكة صحراءَ جرداء لا زرع فيها ولا ماء، وعندما ولَّى ظهره ذاهبًا قالت له هاجر: أين تذهب وتتركنا في هذا المكان الذي لا زرع فيه ولا ماء، وليس معنا إلا قليل مِنَ الزاد؟ فلم يجبها، فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها، قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: فإذًا لن يضيعنا، ثم ذهب إبراهيم عائدًا إلى الأرض المقدسة.

وبعد وقت قليل على تركهم نفذ الزاد الذي كان معهم، ونفذ الماء، فماذا فعلت هاجر؟ وماذا كان مصير غلامها الرضيع؟

هذا ما سوف نعرِفه في قصة إسماعيل عليه السلام إن شاء الله تعالى.

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية»:

" هَاجَر عَلَيْهَا السَّلَامُ لَمَّا وُلِدَ لَهَا إِسْمَاعِيلُ، اشْتَدَّتْ غَيْرَةُ سَارَةَ مِنْهَا، وَطَلَبَتْ مِنَ الْخَلِيلِ أَنْ يُغَيِّبَ وَجْهَهَا عَنْهَا، فَذَهَبَ بِهَا وَبِوَلَدِهَا، فَسَارَ بِهِمَا حَتَّى وَضَعَهُمَا حَيْثُ مَكَّةَ الْيَوْمَ.

وَيُقَالُ: إِنَّ وَلَدَهَا كَانَ إِذْ ذَاكَ رَضِيعًا، فَلَمَّا تَرَكَهُمَا هُنَاكَ وَوَلَّى ظَهْرَهُ عَنْهُمَا قَامَتْ إِلَيْهِ هَاجَرُ وَتَعَلَّقَتْ بِثِيَابِهِ، وَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وتدعنا هاهنا وَلَيْسَ مَعَنَا مَا يَكْفِينَا؟ فَلَمْ يُجِبْهَا، فَلَمَّا أَلَحَّت عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يُجِيبُهَا، قَالَتْ لَهُ: آللَّهُ

---

١) البداية والنهاية (١/ ١٧٦-١٧٧).

أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَإِذًا لَا يُضَيِّعُنَا"(١).

المرحلة السادسة: بعد عودته إلى مدينة الخليل وتردده بينها وبين مكة

مولد إسحاق

الملائكة تبشر إبراهيم بإسحاق

أرسل الله ملائكة في صورة بشر إلى لوط عليه السلام حتى يبلغوه رسالة ربه بضرورة الخروج من بين أظهر الكافرين؛ لأنهم مأمورون من الله بتدمير تلك القرى الظالمة الكافرة التي تفعل الفاحشة، والتي ما سبقهم بها من أحد من العالمين.

وفي الطريق وقبل أن يصلوا إلى لوط، وصلوا إلى إبراهيم عليه السلام وألقوا عليه السلام، وحسبهم إبراهيم أنهم ضيوف مسافرون، فقام فشوى لهم عجلًا ثمينًا، ثم قدم لهم الطعام وعندما رآهم لا يقربون الطعام خاف منهم، فقالوا له: لا تخف إنا رسل ربك أُرسلنا إلى قوم لوط، وسارة كانت حاضرة لهذا اللقاء، فبشروها أن الله سوف يرزقها بإسحاق، وسوف يُرزق إسحاق بعد ذلك بيعقوب عليهم السلام، وحينها ضحكت وضربت وجهها وقالت: يا ويلتى كيف ألد وأنا عجوز وزوجي شيخ كبير؟! فقالوا لها: لا عجب مِنْ أمر الله، إن الله على كل شيء قدر، فإذا قدَّر شيئًا كان:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ

١) البداية والنهاية – (١/ ١٧٧).

نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[هود:٦٩-٧٣].

وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الذاريات:٢٤-٣٠].

ولادة إسحاق وموعد ولادته

وُلد إسحاق عليه السلام وكان عمر سارة قد قارب على التسعين، وعمر إبراهيم قريبًا من مائة وعشرين عامًا، ووُلد بعد إسماعيل عليه السلام بنحو ١٣ عامًا.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كَانَتْ سَارَةُ بِنْتَ تِسْعِينَ سَنَةً، وَإِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى بِإِسْحَاقَ، وَأَمِنَ مِمَّنْ كَانَ يَخَافُهُ، قَالَ: "﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، فَجَاءَ جِبْرِيلُ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِلَى سَارَةَ بِالْبُشْرَى، فَقَالَ: "أَبْشِرِي بِوَلَدٍ يُقَالُ لَهُ:

إِسْحَاقُ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ" قَالَ: فَضَرَبَتْ جَبْهَتَهَا عَجَبًا؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الذاريات: ٢٩]، وَقَالَتْ: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ٧٢﴾ [هود: ٧٢]، قَالُوا: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ٧٣﴾[هود: ٧٣]"(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾[الصافات: ١١٢] قَالَ: "بُشْرَى نُبُوَّةٍ بُشِّرَ بِهِ مَرَّتَيْنِ؛ حِينَ وُلِدَ وَحِينَ نُبِّئَ"(٢).

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية» نقلًا عن أهل الكتاب:

"قالوا: وَلَمَّا رَجَعَتْ هَاجَرُ وضعت إسماعيل عليه السلام، قالوا: وولدته وَلِإِبْرَاهِيمَ مِنَ الْعُمُرِ سِتٌّ وَثَمَانُونَ سَنَةً قَبْلَ مولد إسحاق بِثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً. وَلَمَّا وُلِدَ إِسْمَاعِيلُ أَوْحَى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق مِنْ سَارَةَ، فَخَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا"(٣).

إبراهيم عليه السلام يُعَوّذ إسماعيل وإسحاق

كان إبراهيم عليه السلام يُعَوّذ ولديه إسماعيل وإسحاق بهذا التعوذ قائلًا:

---

١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم- كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين - ذكر إسحاق بن إبراهيم - صلوات الله وسلامه عليهما- حديث: (٤٠٤٢)، وقال الحاكم: "الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وصححه الذهبي في التلخيص.

٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم- كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين - ذكر إسحاق بن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما - حديث: (٤٠٤٤)، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وصححه الذهبي في التلخيص.

٣) البداية والنهاية (١/ ١٧٦-١٧٧).

أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ.

أي: أنه يُعوذهم بكلمات الله التامة، من كل شيطان ومن هوام ودواب الأرض، ومِنْ كل عين حاسدة.

وقيل: المقصود بـ«كلمات الله التامة» هي كلمات الله الشرعية من التعوذات بأسماء الله الحسنى، ونحو ذلك، والله أعلم.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ: «**أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**»، ثُمَّ يَقُولُ: «**كَانَ أَبُوكُمْ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**»(1).

قصة الذبيح إسماعيل

امتثال إبراهيم وإسماعيل لأمر الله بالذبح

عندما شب إسماعيل وصار شابًّا يافعًا قويًّا، يستطيع أن يسعى كما يسعى الرجال في قضاء مصالحهم وأمورهم، رأى إبراهيم- عليه السلام- رؤيا أنه يذبح إسماعيل -عليه السلام.

ورؤيا الأنبياء حق ووحي من الله؛ لذلك امتثل إبراهيم لأمر الله في الرؤيا، وقص الرؤيا على إسماعيل، فقال له إسماعيل الغلام الحليم البار بوالده، المطيع لمولاه سبحانه وتعالى: افعل ما أمرك الله به، وستجدني إن شاء الله من الصابرين على أمر الله وقضائه وقدره، فلم يجزع من قضاء الله سبحانه، ولم يعق والده ويقول له: لا شك، أصابك الجنون، كيف تذبحني وقد رزقك الله إياي على كبر وبعد سنوات طوال؟!

وعندما أسلم إسماعيل نفسه لأمر الله، وأسلم إبراهيم الأمر لله وامتثل لأمره

---

1) سنن أبي داود (٤٧٣٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود بنفس الرقم.

طاعة لخالقه، ورقد إسماعيل على الأرض وجبينه على الأرض، وأخذ إبراهيم السكين لكي يذبح ولده، فعَرَضَ لَهُ الشيطان عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى يريد أن يثنيه عن الامتثال لأمر الله، فَرَمَاهُ إبراهيم بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، ثم جاءهم الفرج من الله ونادى الله إبراهيم: {يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥}؛ أَيْ: قَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنِ اخْتِبَارِكِ، وامتثلت لأمر الله وقدمت وَلَدَكَ لِلْقُرْبَانِ، وأرسل إليه كبشًا كبيرًا ليذبحه مكان ولده ويفتدي به ولده، وَالْمَشْهُورُ عَنِ الْجُمْهُورِ أَنَّهُ كَبْشٌ أَبْيَضُ أَعْيَنُ أَقْرَنُ رَآهُ مَرْبُوطًا بِسَمُرَةٍ فِي ثَبِيرٍ، فذبحه إبراهيم- عليه السلام- وافتدى ولده.

وإرسال كبش من الجنة يفدي به الله إسماعيل لهي معجزة للخليل إبراهيم، وكرامة لإسماعيل عليهما السلام.

ووضع إبراهيم عليه السلام قرني الكبش بعد ذلك في الكعبة، وما زالا في الكعبة حتى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده، حتى احترق البيت فاحترقا معه.

فعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ أُمِّ مَنْصُورٍ قَالَتْ: أَخْبَرَتْنِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ وَلَدَتْ عَامَّةَ أَهْلِ دَارِنَا، أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ - وَقَالَ مَرَّةً: إِنَّهَا سَأَلَتْ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ - لِمَ دَعَاكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: "**إِنِّي كُنْتُ رَأَيْتُ قَرْنَيِ الْكَبْشِ حِينَ دَخَلْتُ الْبَيْتَ، فَنَسِيتُ أَنْ آمُرَكَ أَنْ تُخَمِّرَهُمَا، فَخَمِّرْهُمَا؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ يَشْغَلُ الْمُصَلِّيَ**"، قَالَ سُفْيَانُ: لَمْ تَزَلْ قَرْنَا الْكَبْشِ فِي الْبَيْتِ حَتَّى احْتَرَقَ الْبَيْتُ فَاحْتَرَقَا"(١).

وهذا البلاء الذي وقع فيه إبراهيم وإسماعيل بلاء عظيم مبين، لا يصبر عليه

١) مسند أحمد (١٦٦٣٧)، وصحح إسناده الأرنؤوط في المسند بنفس الرقم.

إلا الصابرون.

قال تعالى مفصلًا لقصة الذبيح: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات:٩٩-١٠٧].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾[الصافات: ٨٣] قَالَ: "مِنْ شِيعَةِ نُوحٍ إِبْرَاهِيمُ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَسُنَّتِهِ، بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ شَبَّ حَتَّى بَلَغَ سَعْيُهُ سَعْيَ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَمَلِ، فَلَمَّا أَسْلَمَا مَا أُمِرَا بِهِ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَضَعَ وَجْهَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَقَالَ: لَا تَذْبَحْنِي وَأَنْتَ تَنْظُرُ عَسَى أَنْ تَرْحَمَنِي، فَلَا تُجْهِزْ عَلَيَّ ارْبُطْ يَدَيَّ إِلَى رَقَبَتِي، ثُمَّ ضَعْ وَجْهِي عَلَى الْأَرْضِ، فَلَمَّا أَدْخَلَ يَدَهُ لِيَذْبَحَهُ فَلَمْ يَحُكَّ الْمُدْيَةَ حَتَّى نُودِيَ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ ﴾ [الصافات: ١٠٥]، فَأَمْسَكَ يَدَهُ وَرَفَعَ. قَوْلُهُ: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات]: بِكَبْشٍ عَظِيمٍ مُتَقَبَّلٍ"وَزَعَمَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ الذَّبِيحَ إِسْمَاعِيلُ"(١).

وعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى

---

١) المستدرك، للحاكم- كتاب التفسير- تفسير سورة الصافات (٣٦١٢)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"، وقال الذهبي في التلخيص: "على شرط البخاري ومسلم".

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ سُنَّةٌ؟ قَالَ: صَدَقُوا، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُمِرَ بِالْمَنَاسِكِ، عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَسْعَى فَسَابَقَهُ، فَسَبَقَهُ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، فَعَرَضَ لَهُ شَيْطَانٌ - قَالَ يُونُسُ: الشَّيْطَانُ - فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، حَتَّى ذَهَبَ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، قَالَ: قَدْ تَلَّهُ لِلجَبِينِ - قَالَ يُونُسُ: وَثَمَّ تَلَّهُ لِلجَبِينِ - وَعَلَى إِسْمَاعِيلَ قَمِيصٌ أَبْيَضُ، وَقَالَ: يَا أَبَتِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي ثَوْبٌ تُكَفِّنُنِي فِيهِ غَيْرُهُ، فَاخْلَعْهُ حَتَّى تُكَفِّنَنِي فِيهِ، فَعَالَجَهُ لِيَخْلَعَهُ، فَنُودِيَ مِنْ خَلْفِهِ: ﴿ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ ﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥] فَالْتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ، فَإِذَا هُوَ بِكَبْشٍ أَبْيَضَ أَقْرَنَ أَعْيَنَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَتْبَعُ ذَلِكَ الضَّرْبَ مِنَ الكِبَاشِ"(١).

كبش إسماعيل رعى في الجنة سبعين خريفًا

قال تعالى: ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: "الْكَبْشُ رَعَى فِي الْجَنَّةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا"(٢).

ابن عباس يرى أن الذبيح إسماعيل

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: "الذَّبِيحُ إِسْمَاعِيلُ"(٣).

---

١) مسند أحمد بن حنبل - ومن مسند بني هاشم -مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب - حديث: (٢٧٠٧)، وصحح إسناده شاكر في المسند بنفس الرقم.

٢) أخبار مكة، للفاكهي - حديث: (٢٦١٤)، وحسن إسناده الدكتور ابن دهيش في المصدر السابق بنفس الرقم.

٣) المستدرك على الصحيحين، للحاكم - كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين -ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما - حديث: (٤٠٣٤)، وقال

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ فِي الَّذِي فَدَاهُ اللهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، قَالَ: "هُوَ إِسْمَاعِيلُ"(١).

من الأدلة الدامغة على أن الذبيح إسماعيل

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾[هود].

في الآيات السابقة بشر الله إبراهيم بأنه سوف يولد له إسحاق، وسوف يولد لإسحاق بعد ذلك يعقوب، فكيف يبشره الله هذه البشارة ثم يأمره بعد ذلك بذبح إسحاق؟! وكيف يكون هذا بلاء مبينًا -كما وصفه الله تعالى- إن كان إبراهيم يعلم أن إسحاق لن يذبح؛ لأن له عقبًا وذريةً؟!

إذًا، فالذبيح هو إسماعيل، ولا ريب في ذلك بدَلالة كتاب الله سبحانه وتعالى.

يهودي من علماء اليهود يقر بأن الذبيح إسماعيل

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية»:

الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "على شرط البخاري ومسلم".

١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم - كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين - ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما - حديث: (٤٠٣٨)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "على شرط البخاري ومسلم".

"وَإِلَيْهِ[1] ذَهَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ: لَا شَكَّ فِي هَذَا.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إسحاق، عن بريدة، عن سُفْيَانَ بْنِ فَرْوَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّهُ ذَكَرَ ذَلِكَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ خَلِيفَةٌ إِذْ كَانَ معه بالشام، يعني: استدلاله بقوله بعد ذكر القصة: {فبشرناه بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ}، فقال له عمر: إن هذا الشئ مَا كُنْتُ أَنْظُرُ فِيهِ، وَإِنِّي لَأَرَاهُ كَمَا قُلْتَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى رَجُلٍ كَانَ عِنْدَهُ بالشام كان يهوديًّا فأسلم وحسن إسلامه - وَكَانَ يُرَى أَنَّهُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ- قَالَ: فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَيُّ ابْنَيْ إِبْرَاهِيمَ أُمِرَ بِذَبْحِهِ؟ فَقَالَ: إِسْمَاعِيلُ وَاللهِ يَا أَمِيرَ المؤمنين، وإن اليهود لَتَعْلَمُ بِذَلِكَ وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكُمْ -مَعْشَرَ الْعَرَبِ- عَلَى أَنْ يَكُونَ أَبَاكُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ الله فيه والفضل، والذي ذَكَرَهُ اللهُ مِنْهُ لِصَبْرِهِ لِمَا أُمِرَ بِهِ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق؛ لأن إسحاق أَبُوهُمْ"[2].

إبراهيم يرفع قواعد بيت الله الحرام

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة].

أمر الله إبراهيم عليه السلام وإسماعيل أن يقوما ببناء الكعبة المشرفة؛

١) أي: الذبيح إسماعيل.

٢) البداية والنهاية (١/ ١٨٤).

لتكون قِبْلة لهم ولجميع المؤمنين، وحتى يحجوا إليها.

وكان مكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتذهب عن يمينه وشماله.

وجاء إبراهيم عليه السلام إلى مكة فوجد إسماعيل تحت شجرة قريبًا من زمزم يقوم ببري سهم له، فلما رآه تعانقا وسلم كل منهما على الآخر، ثم قال إبراهيم: يا إسماعيل، إن الله أمرني أن أبني هنا بيتًا له، أتعينني؟ قال: نعم.

ولكن كيف حدَّد إبراهيم حدود البناء؟

قال علي بن أبي طالب: رَأَى عَلَى رَأْسِهِ فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ مِثْلَ الْغَمَامَةِ- أي: السحاب- فِيهِ مِثْلُ الرَّأْسِ فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، ابْنِ عَلَى ظِلِّي أَوْ عَلَى قَدْرِي، وَلَا تَزِدْ وَلَا تَنْقُصْ.

وجاءت السكينة فتطوقت مثل الترس، فجعل إبراهيم يبني عليها، وجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، وقال ابن عباس: إن القواعد كانت موجودة وأنهم قاموا بالبناء عليها.

ولما ارتفع البناء جاء إسماعيل بحجر فوضعه، فقام عليه إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: {ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم}، وكان هذا الحجر الذي وقف إبراهيم عليه هو حجر المقام، ولم يتحمل الحجر قيام الخليل إبراهيم عليه، فلان الحجر وطُبعت قدم الخليل في الحجر.

ولما بلغ الخليل موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل: ابغني حجرًا له لون مختلف؛ ليبدأ الناس مِنْ عنده الطواف، فذهب إسماعيل يبحث في الجبال فلم يجد شيئًا، ولما عاد وجد أن إبراهيم قد رَكبه في مكانه، فقال له: مِنْ أين لك بهذا؟ فقال: جاءني به مَنْ لا يتكل على بنائي وبنائك، وكان جبريل قد جاء به من

السماء.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [البقرة: ١٢٧] قَالَ: "الْقَوَاعِدُ الَّتِي كَانَتْ قَوَاعِدَ الْبَيْتِ قَبْلَ ذَلِكَ"(١).

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ:... كَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ... ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ- يقصد: إبراهيم عليه السلام- وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَاهُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قَالَ: فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧] "(٢).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:... فَقَامَا فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧]. قَالَ: حَتَّى ارْتَفَعَ البِنَاءُ، وَضَعُفَ الشَّيْخُ عَنْ نَقْلِ

---

١) جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري – سورة البقرة –القول في تأويل قوله تعالى: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد...} – حديث: (٢٠٣٨)، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (٨/ ١٧٠).

٢) صحيح البخاري (٣٣٦٤).

الحِجَارَةِ، فَقَامَ عَلَى حَجَرِ المَقَامِ، فَجَعَلَ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولاَنِ: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧]"(١).

وعن علي بن أبي طالب أنه تلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَيْس بِأَوَّلِ بَيْتٍ كَانَ، قَدْ كَانَ نُوحٌ قَبْلَهُ وَكَانَ فِي الْبُيُوتِ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ قَبْلَهُ وَفِي الْبُيُوتِ، وَلَكِنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ فِيهِ الْبَرَكَةُ: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾، ثُمَّ حَدَّثَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا أُمِرَ بِبِنَاءِ الْبَيْتِ ضَاقَ بِهِ ذَرْعًا فَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَبْنِيهِ، فَأَرْسَلَ اللهُ السَّكِينَةَ وَهِيَ رِيحٌ خَجُوج لَهَا رَأْسٌ فَتَطَوَّقَتْ لَهُ بِالْحَجِّ، فكَانَ يَبْنِي عَلَيْهَا كل يَوْمًا سَافًا(٢) وَمَكَّةُ شَدِيدَةُ الْحَرِّ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحَجَرَ قَالَ لإِسْمَاعِيلَ: اذْهَبْ فَالْتَمِسْ لِي حَجَرًا أَضَعُهُ، فَذَهَبَ يَطُوفُ فِي الْجِبَالِ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ بِالْحَجَرِ فَوَضَعَهُ، فَجَاءَ إِسْمَاعِيلُ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا؟ قَالَ: جَاءَ بِهِ مَنْ لَمْ يَتَّكِلْ عَلَى بِنَائِي وَبِنَائِكَ فَوَضَعَهُ، فَلَبِثَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَلْبَثَ ثُمَّ انْهَدَمَ، فَبَنَتْهُ الْعَمَالِقَةُ ثُمَّ انْهَدَمَ فَبَنَتْهُ جُرْهُم، ثُمَّ انْهَدَمَ فَبَنَتْهُ قُرَيْشٌ"(٣).

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: " لَمَّا أُمِرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبِنَاءِ الْبَيْتِ

---

١) صحيح البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء –باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} – حديث: (٣٣٦٥).
٢) في المستدرك: «رِيحٌ خَجوجٌ، فانطوَت فجَعَل يَبني عليها كلَّ يوم ساقًا».
٣) الأحاديث المختارة – حديث: (٤٣٨)، وهي صحيحة على شرط الضياء في المختارة، وحسن إسناده الدكتور ابن دهيش في المختارة بنفس الرقم، وحسن إسناده الدكتور حكمت العراقي في الصحيح المسبور (١/ ٤٣٧).

خَرَجَ مَعَهُ إِسْمَاعِيلُ وَهَاجَرُ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ رَأَى عَلَى رَأْسِهِ فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ مِثْلَ الْغَمَامَةِ فِيهِ مِثْلُ الرَّأْسِ فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، ابْنِ عَلَى ظِلِّي أَوْ عَلَى قَدْرِي وَلَا تَزِدْ وَلَا تَنْقُصْ، فَلَمَّا بَنَى خَرَجَ وَخَلَّفَ إِسْمَاعِيلَ وَهَاجَرَ؛ وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦]"(١).

وعَنْ عَلِيٍّ؛ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيه السلَام قَالَ لابْنِهِ: ابْغِنِي حَجَرًا، قَالَ: فَذَهَبَ، ثُمَّ جَاءَ وَقَدْ رَكِبَهُ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا؟ قَالَ: جَاءَنِي بِهِ مَنْ لَمْ يَتَّكِلْ عَلَى بِنَائِكَ، جَاءَنِي بِهِ جِبْرِيلُ مِنَ السَّمَاءِ"(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: "حُجُّوا هَذَا الْبَيْتَ، وَاسْتَلِمُوا هَذَا الْحَجَرَ، فَوَاللهِ لَيُرْفَعَنَّ، أَوْ لَيُصِيبَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ، إِنْ كَانَا لَحَجَرَيْنِ أُهْبِطَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَرُفِعَ أَحَدُهُمَا وَسَيُرْفَعُ الآخَرُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَمَا قُلْتُ، فَمَنْ مَرَّ عَلَى قَبْرِي فَلْيَقُلْ: هَذَا قَبْرُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو الْكَذَّابِ"(٣).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَيْضًا قَالَ: "نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا الْحَجَرِ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَمَتَّعُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ

---

١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم - كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين -ذكر إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم خليل الله عز وجل - حديث: (٤٠٢٤)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "على شرط البخاري ومسلم".

٢) مصنف ابن أبي شيبة - حديث: (١٤٧١٨)، وحسنه الدكتور سعد الشثري في مصنف ابن أبي شيبة بنفس الرقم.

٣) مصنف ابن أبي شيبة - حديث: (١٤٧٢٣)، وحسنه الدكتور سعد الشثري في مصنف ابن أبي شيبة بنفس الرقم.

فَيَرْجِع بِهِ مِنْ حَيْثُ جَاءَ بِهِ"[1].

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: "هَذَا الرُّكْنُ يَمِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، يُصَافِحُ بِهِ عِبَادَهُ مُصَافَحَةَ الرَّجُلِ أَخَاهُ[2].

قبلة إبراهيم كانت الكعبة المشرفة

فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا نُسِخَ مِنَ الْقُرْآنِ الْقِبْلَةُ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْيَهُودَ، أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَفَرِحَتِ الْيَهُودُ، فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَضْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ قِبْلَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ يَدْعُو اللهَ وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٤٤] يَعْنِي: نَحْوَهُ...."[3].

كيف كانت حدود البيت في عهد إبراهيم عليه السلام

كان الحِجْر جزءًا من الكعبة في عهد إبراهيم عليه السلام، ولما قامت قريش ببناء الكعبة بعد ذلك قصرت بهم النفقة، أي: أن النفقة لم تكفِ؛ لأنهم اشترطوا

---

١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، طبعة دار المنهاج (٥٥٤٨)، ثم قال: "رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح"،ولم أعثر عليه في المعجم الكبير فلعله مفقود، وصحح إسناده حسين أسد في المصدر السابق بنفس الرقم.

٢) أخبار مكة، للفاكهي – حديث: (٢٠)، وحسن إسناده الدكتور ابن دهيش في المصدر السابق بنفس الرقم.

٣) السنن الكبرى، للبيهقي – كتاب الصلاة– جماع أبواب استقبال القبلة – باب استبانة الخطأ بعد الاجتهاد (٢٢٤٦)، وصححه شاكر في عمدة التفسير إلى قوله: {ممن ينقلب على عقبيه} (١/ ١٩٤)، وذكر باقي الحديث الدكتور حكمت العراقي في الصحيح المسبور من رواية الطبري وحسن إسناده (١/ ٢٥٢، ٢٥٣).

ألا يدخل في بناء الكعبة إلا مال حلال.

ولما لم تكفِ النفقة أخرجوا الحِجْر من البيت، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة أنه لولا حداثة القوم بالإسلام؛ لقام بإعادته على قواعد إبراهيم وأدخل فيه من الحجر ستة أذرع، وألزق الباب بالأرض، وجعل لها بابين: بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا، باب يدخل منه الناس وباب يخرجون منه.

ولما احترق البيت في زمان يزيد بن معاوية استشار ابن الزبير الناس: كيف يفعل: هل يصلح ما تهدم منها أم يهدمها ثم يعيد بناءها؟ فقال ابن عباس: أَرَى أَنْ تُصْلِحَ مَا تهدم منها، وتترك البيت على حاله وهيئته، فقال ابن الزبير: لو احترق بيت أحدكم لقام بتجديده، فكيف ببيت رَبِّكُمْ؟ إِنِّي مُسْتَخِيرٌ رَبِّي ثَلَاثًا، ثُمَّ عَازِمٌ عَلَى أَمْرِي، فَلَمَّا مَضَى الثَّلَاثُ أَجْمَعَ رَأْيَهُ عَلَى أَنْ يهدمها، فخشي الناس أن يقوموا بهدمها فيصيبهم أذى، حتى صعد أحدهم فألقى منها حجارة ولم يصبه شيء، فتتابع الناس وقاموا بهدم البيت حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، وكانت حجارة كأسنمة الإبل، وصنع ابن الزبير أعمدة شد عليها ستور الكعبة حتى ارتفع البناء.

وأخبرهم ابن الزبير بما قالت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه يجد النفقة ولا يخشى الناس، فَزَادَ فِيهِ خَمْسَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ، وَكَانَ طُولُ الْكَعْبَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا زَادَ فِيهِ اسْتَقْصَرَهُ، فَزَادَ فِي طُولِهِ عَشْرَ أَذْرُعٍ، وَجَعَلَ لَهُ بَابَيْنِ: أَحَدُهُمَا يُدْخَلُ مِنْهُ، وَالْآخَرُ يُخْرَجُ مِنْهُ ". فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ، فأمره عبد الملك أن يبقي طوله كما هو، وأن يعيد البيت كما كان، فأخرج الحجر منه وأغلق بابًا وترك الآخر.

وعندما علم عبد الملك أن ابن الزبير فعل هذا لما أخبرته عائشة بما قاله

رسول الله ﷺ؛ ندم على ذلك وتمنى لو لم يقم بإعادته كما كان، وتركه على بناء ابن الزبير.

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: **"أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوُا الكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟"**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: **"لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالكُفْرِ لَفَعَلْتُ"** فَقَالَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَئِنْ كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سَمِعَتْ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا أُرَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ اسْتِلَامَ الرُّكْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَلِيَانِ الحِجْرَ، إِلَّا أَنَّ البَيْتَ لَمْ يُتَمَّمْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ(١).

✪ **وفي روايات للبخاري:**

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الجَدْرِ أَمِنَ البَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: **"نَعَمْ"** قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي البَيْتِ؟ قَالَ: **"إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ"** قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ: **"فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ، لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاؤُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاؤُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ، أَنْ أُدْخِلَ الجَدْرَ فِي البَيْتِ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ"**(٢).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: **"يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهُدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، فَبَلَغْتُ**

---

١) صحيح البخاري - كتاب الحج -باب فضل مكة وبنيانها - حديث: (١٥٨٣).
٢) صحيح البخاري - كتاب الحج -باب فضل مكة وبنيانها - حديث: (١٥٨٤).

بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ"، فَذَلِكَ الَّذِي حَمَلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَلَى هَدْمِهِ، قَالَ يَزِيدُ: وَشَهِدْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ حِينَ هَدَمَهُ، وَبَنَاهُ، وَأَدْخَلَ فِيهِ مِنَ الحِجْرِ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ حِجَارَةً، كَأَسْنِمَةِ الإِبِلِ، قَالَ جَرِيرٌ: فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ مَوْضِعُهُ؟ قَالَ: أُرِيكَهُ الآنَ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ الحِجْرَ، فَأَشَارَ إِلَى مَكَانٍ، فَقَالَ: هَاهُنَا، قَالَ جَرِيرٌ: فَحَزَرْتُ مِنَ الحِجْرِ سِتَّةَ أَذْرُعٍ أَوْ نَحْوَهَا"(١).

وعَنِ الأَسْوَدِ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ: كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا، فَمَا حَدَّثَتْكَ فِي الكَعْبَةِ؟ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ** - قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ - **بِكُفْرٍ، لَنَقَضْتُ الكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ**"، فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ"(٢).

✪ **وفي روايات لمسلم:**

عَنْ سَعِيدٍ -يَعْنِي: ابْنَ مِينَاءَ- قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ: حَدَّثَتْنِي خَالَتِي -يَعْنِي عَائِشَةَ- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ، لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ، فَأَلْزَقْتُهَا بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ**"(٣).

وعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ** - أَوْ قَالَ: **بِكُفْرٍ** - **لَأَنْفَقْتُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَجَعَلْتُ بَابَهَا بِالْأَرْضِ، وَلَأَدْخَلْتُ**

---

١) صحيح البخاري - كتاب الحج -باب فضل مكة وبنيانها - حديث: (١٥٨٦).
٢) صحيح البخاري - كتاب العلم -باب من ترك بعض الاختيار - حديث: (١٢٦).
٣) صحيح مسلم - كتاب الحج -باب نقض الكعبة وبنائها - حديث: (١٣٣٣).

فِيهَا مِنَ الْحِجْرِ"[١].

وعَنْ عَطَاءٍ قَالَ: لَمَّا احْتَرَقَ الْبَيْتُ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، حِينَ غَزَاهَا أَهْلُ الشَّامِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، تَرَكَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى قَدِمَ النَّاسُ الْمَوْسِمَ يُرِيدُ أَنْ يُجَرِّئَهُمْ - أَوْ يُحَرِّبَهُمْ - عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الْكَعْبَةِ، أَنْقُضُهَا ثُمَّ أَبْنِي بِنَاءَهَا؟ أَوْ أُصْلِحُ مَا وَهَى مِنْهَا؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنِّي قَدْ فُرِقَ لِي رَأْيٌ فِيهَا، أَرَى أَنْ تُصْلِحَ مَا وَهَى مِنْهَا، وَتَدَعَ بَيْتًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَأَحْجَارًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهَا، وَبُعِثَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: لَوْ كَانَ أَحَدُكُمُ احْتَرَقَ بَيْتُهُ، مَا رَضِيَ حَتَّى يُجِدَّهُ، فَكَيْفَ بَيْتُ رَبِّكُمْ؟ إِنِّي مُسْتَخِيرٌ رَبِّي ثَلَاثًا، ثُمَّ عَازِمٌ عَلَى أَمْرِي، فَلَمَّا مَضَى الثَّلَاثُ أَجْمَعَ رَأْيَهُ عَلَى أَنْ يَنْقُضَهَا، فَتَحَامَاهُ النَّاسُ أَنْ يَنْزِلَ بِأَوَّلِ النَّاسِ يَصْعَدُ فِيهِ أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ، حَتَّى صَعِدَهُ رَجُلٌ، فَأَلْقَى مِنْهُ حِجَارَةً، فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ النَّاسُ أَصَابَهُ شَيْءٌ تَتَابَعُوا فَنَقَضُوهُ حَتَّى بَلَغُوا بِهِ الْأَرْضَ، فَجَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَعْمِدَةً، فَسَتَّرَ عَلَيْهَا السُّتُورَ حَتَّى ارْتَفَعَ بِنَاؤُهُ[٢].

---

١) صحيح مسلم - كتاب الحج -باب نقض الكعبة وبنائها - حديث: (١٣٣٣).

٢) شرح عبد الباقي:" (يجرئهم أو يحربهم) من الجراءة؛ أي: يشجعهم على قتالهم بإظهار قبح فعالهم. هذا هو المشهور في ضبطه. قال القاضي: ورواه العذري: «يجربهم»، ومعناه: يختبرهم وينظر ما عندهم في ذلك من حمية وغضب لله تعالى ولبيته.
ومعنى «يحربهم»؛ أي: يغيظهم بما يرونه قد فُعل بالبيت من قولهم: حربت الأسد: إذا أغضبته. قال القاضي: وقد يكون معناه: يحملهم على الحرب ويحرضهم عليها ويؤكد عزائمهم؛ لذلك قال: ورواه آخرون: «يحزبهم»؛ أي: يشد قوتهم ويميلهم إليه ويجعلهم حزبًا له وناصرين له على مخالفيه، وحزب الرجل: مَنْ مَالَ إليه. وتحازب القوم: تمالؤوا (قد فرق لي رأي فيها)؛ أي: كُشف وبُين. قال الله تعالى: {وقرآنا فرقناه}؛ أي: فصلناه وبيناه. هذا هو الصواب في ضبط هذه اللفظة ومعناها. وهكذا ضبطها القاضي والمحققون (يُجِدَّهُ)؛ أي: يجعله جديدًا (تتابعوا) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا، وكذا

وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: إِنِّي سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"لَوْلَا أَنَّ النَّاسَ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ، وَلَيْسَ عِنْدِي مِنَ النَّفَقَةِ مَا يُقَوِّي عَلَى بِنَائِهِ، لَكُنْتُ أَدْخَلْتُ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ خَمْسَ أَذْرُعٍ، وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْهُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ"**، قَالَ: فَأَنَا الْيَوْمَ أَجِدُ مَا أُنْفِقُ، وَلَسْتُ أَخَافُ النَّاسَ، قَالَ: " فَزَادَ فِيهِ خَمْسَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ حَتَّى أَبْدَى أُسًّا نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَبَنَى عَلَيْهِ الْبِنَاءَ وَكَانَ طُولُ الْكَعْبَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا زَادَ فِيهِ اسْتَقْصَرَهُ، فَزَادَ فِي طُولِهِ عَشْرَ أَذْرُعٍ، وَجَعَلَ لَهُ بَابَيْنِ: أَحَدُهُمَا يُدْخَلُ مِنْهُ، وَالْآخَرُ يُخْرَجُ مِنْهُ. فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَدْ وَضَعَ الْبِنَاءَ عَلَى أُسٍّ نَظَرَ إِلَيْهِ الْعُدُولُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِنَّا لَسْنَا مِنْ تَلْطِيخِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي شَيْءٍ، أَمَّا مَا زَادَ فِي طُولِهِ فَأَقِرَّهُ، وَأَمَّا مَا زَادَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ فَرُدَّهُ إِلَى بِنَائِهِ، وَسُدَّ الْبَابَ الَّذِي فَتَحَهُ، فَنَقَضَهُ وَأَعَادَهُ إِلَى بِنَائِهِ(١)(٢).

وعن ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عَطَاءٍ، يُحَدِّثَانِ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُبَيْدٍ: وَفَدَ

ذكره القاضي عن رواية الأكثرين. وعن أبي بحر: «تتابعوا»، وهو بمعناه إلا أن أكثر ما يستعمل «تتابعوا» في الشر خاصة، وليس هذا موضعه. (فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور) المقصود بهذه الأعمدة والستور: أن يستقبلها المصلون في تلك الأيام ويعرفوا موضع الكعبة، ولم تزل تلك الستور حتى ارتفع البناء وصار مشاهدًا للناس، فأزالها لحصول المقصود بالبناء المرتفع من الكعبة".

١) شرح عبد الباقي: "(حتى أبدى أسًّا)؛ أي: حفر من أرض الحجر ذلك المقدار إلى أن بلغ أساس البيت الذي أسس عليه إبراهيم عليه السلام، حتى أرى الناس أساسه، فنظروا إليه فبنى البناء عليه (إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير) يريد بذلك: سبه وعيب فعله، يقال: لطختهه؛ أي: رميته بأمر قبيح؛ يعني: إنا براء مما لوثه بما اعتمده من هدم الكعبة".

٢) صحيح مسلم - كتاب الحج -باب نقض الكعبة وبنائها - حديث: (١٣٣٣).

الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي خِلَافَتِهِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَا أَظُنُّ أَبَا خُبَيْبٍ -يَعْنِي: ابْنَ الزُّبَيْرِ- سَمِعَ مِنْ عَائِشَةَ مَا كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْهَا، قَالَ الْحَارِثُ: بَلَى أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْهَا، قَالَ: سَمِعْتَهَا تَقُولُ مَاذَا؟ قَالَ: قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِنَّ قَوْمَكِ اسْتَقْصَرُوا مِنْ بُنْيَانِ الْبَيْتِ، وَلَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِهِمْ بِالشِّرْكِ، أَعَدْتُ مَا تَرَكُوا مِنْهُ، فَإِنْ بَدَا لِقَوْمِكِ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ فَهَلُمِّي لِأُرِيَكِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ**"، فَأَرَاهَا قَرِيبًا مِنْ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ.

هَذَا حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدٍ، وَزَادَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَطَاءٍ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ مَوْضُوعَيْنِ فِي الْأَرْضِ: شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا، وَهَلْ تَدْرِينَ لِمَ كَانَ قَوْمُكِ رَفَعُوا بَابَهَا؟**"، قَالَتْ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: "**تَعَزُّزًا أَلَّا يَدْخُلَهَا إِلَّا مَنْ أَرَادُوا، فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا هُوَ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَهَا يَدَعُونَهُ يَرْتَقِي، حَتَّى إِذَا كَادَ أَنْ يَدْخُلَ دَفَعُوهُ فَسَقَطَ**"، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِلْحَارِثِ: أَنْتَ سَمِعْتَهَا تَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَنَكَتَ سَاعَةً بِعَصَاهُ، ثُمَّ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي تَرَكْتُهُ وَمَا تَحَمَّلَ (١).

دعاء إبراهيم بحرمة مكة

فقد دعا إبراهيم أن تكون مكة حرمًا ودعا لها بالبركة، فاستجاب الله له.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لَهَا، وَحَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَدَعَوْتُ لَهَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا مِثْلَ مَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَكَّةَ**"(٢).

ومعنى أنها حرم:أي أن الله حرم قتال أهلها أو تخويف ساكنيها، وحَرَّم

---

١) صحيح مسلم - كتاب الحج -باب نقض الكعبة وبنائها - حديث: (١٣٣٣).
٢) صحيح البخاري - كتاب البيوع -باب بركة صاع النبي صلى الله عليه وسلم ومده - حديث: (٢١٢٩).

كذلك الصيد فيها؛ فالطيور والحيوانات فيها آمنون، وحَرَّم كذلك قطع أشجارها، فكل ما فيها آمنون (الإنسان والحيوانات والطيور والنباتات).

كما أنه دعا لها بالأمن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم].

إبراهيم ﷺ يدعو الله أن يبعث في أهل مكة رسولًا منهم فكان محمدًا ﷺ

فقد دعا إبراهيم عليه السلام لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والسنة القويمة ويطهرهم من الشرك، فبعث الله محمدًا صلى الله عيه وسلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة].

وعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ الْفَزَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"إِنِّي ـ عِنْدَ اللهِ ـ مَكْتُوبٌ بِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وبِشارة عِيسَى ورُؤيا أُمِّيَ الَّتِي رَأَتْ ـ حِينَ وَضَعَتْنِي ـ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشام"**[1].

---

١) صحيح ابن حبان – كتاب التاريخ – حديث: (٦٣٧٠)، وصححه الألباني في التعليقات

أمر الله إبراهيم ﷺ بالأذان بالحج فسمعه مَنْ في السموات والأرض

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ﴾ [الحج].

بعد أن أتم إبراهيم عليه السلام بناء البيت، أمره الله أن يطهره للطائفين والقائمين والمصلين، وأمره أن يُؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: رب وما يبلغ صوتي؟ فقال له: عليك الأذان وعليّ البلاغ، فقال: كيف أقول؟ قال: قُلْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ، حَجُّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، فَسَمِعَهُ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وتلك كانت معجزة للخليل إبراهيم عليه السلام.

وقَالَ ابن عباس: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُمِرَ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، خَفَضَتْ لَهُ الْجِبَالُ رُؤُوسَهَا، وَرُفِعَتْ لَهُ الْقُرَى، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: لَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ قَالَ: رَبِّ، قَدْ فَرَغْتُ. فَقَالَ: "أَذِّنِ فِي النَّاس بِالْحَجِّ". قَالَ: رَبِّ، وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي؟ قَالَ: "أَذِّنْ وَعَلَيَّ الْبَلَاغُ". قَالَ: رَبِّ كَيْفَ أَقُولُ؟ قَالَ: " قُلْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ، حَجُّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، فَسَمِعَهُ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ

الحسان بنفس الرقم وقال: "صحيح لغيره"، وأخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٤١٧٥)، وصحح إسناده، وصححه الذهبي في التلخيص.

يَجِيؤُونَ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ يُلَبُّونَ؟"(١).

وعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ ابن عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي كَيْفَ كَانَتِ التَّلْبِيَةُ؟ قُلْتُ: وَكَيْفَ كَانَتْ؟ قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُمِرَ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، خَفَضَتْ لَهُ الْجِبَالُ رُؤُوسَهَا، وَرُفِعَتْ لَهُ الْقُرَى، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ (٢)

إبراهيم يحج إلى بيت الله الحرام

جبريل عليه السلام يُعَلّم إبراهيم المناسك

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: أَفَاضَ جِبْرِيلُ بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا، فَصَلَّى بِهِ بِمِنًى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ غَدَا مِنْ مِنًى إِلَى عَرَفَةَ فَصَلَّى بِهِ الصَّلاتَيْنِ: الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ، ثُمَّ وَقَفَ لَهُ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ دَفَعَ حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ، فَنَزَلَ بِهَا، فَبَاتَ وَصَلَّى، ثُمَّ صَلَّى كَأَعْجَلِ مَا يُصَلِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ وَقَفَ بِهِ كَأَبْطَأ مَا يُصَلِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ دَفَعَ مِنْهُ إِلَى مِنًى، فَرَمَى وَذَبَحَ، ثُمَّ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ

---

١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم - كتاب التفسير- تفسير سورة الحج – (٣٤٦٤)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "صحيح"، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٤٠٩) من رواية أحمد بن منيع في مسنده وقوى إسناده؛ حيث قال: "وَالْأَسَانِيدُ إِلَيْهِمْ قَوِيَّةٌ، وَأَقْوَى مَا فِيهِ عَنِ ابن عَبَّاسٍ مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ فِي مُسْنده، وابن أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ قَابُوسِ بْنِ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ- عَلَيْهِ السَّلَامُ..." ثم ساق الحديث، وأخرجه الضياء في المختارة، المجلد العاشر برقم (١١)، وهي صحيحة على شرط الضياء في المختارة.

٢) مسند أحمد بن حنبل – ومن مسند بني هاشم –مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب – حديث: (٢٧٠٧)، وصحح إسناده شاكر في المسند بنفس الرقم.

مِنَ الْمُشْرِكِينَ"(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ إِبْرَاهِيمَ يُرِيهِ الْمَنَاسِكَ، فَصَلَّى بِهِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ بِمِنًى، ثُمَّ ذَهَبَ مَعَهُ إِلَى عَرَفَةَ، فَصَلَّى بِهِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِعَرَفَةَ وَوَقَّفَهُ فِي الْمَوْقِفِ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ دَفَعَ بِهِ فَصَلَّى بِهِ الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ بِمُزْدَلِفَةَ، ثُمَّ أَبَاتَ لَيْلَتَهُ، ثُمَّ دَفَعَ بِهِ حَتَّى رَمَى الْجَمْرَةَ، فَقَالَ لَهُ: أَعْرِفِ الآنَ، فَأَرَاهُ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا، فَعَلَ ذَلِكَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

الشيطان يريد تعطيل إبراهيم ﷺ عن المناسك

أثناء قيام إبراهيم عليه السلام أداء المناسك، كان يعرض له الشيطان يريد إثناءه عن ذلك، فعرض له عند جمرة العقبة الصغرى والوسطى والكبرى، وكلما عرض له رماه إبراهيم بسبع حصيات، ولذلك شُرع الرجم بعد ذلك.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَفَعَهُ قَالَ: "**لَمَّا أَتَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللهِ الْمَنَاسِكَ عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى سَاخَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّانِيَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى سَاخَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّالِثَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى سَاخَ فِي الْأَرْضِ**". قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

١) تفسير ابن أبي حاتم - سورة البقرة - قوله تعالى: {قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم} - حديث: (٣٨٢٦)، وحسن إسناده الدكتور حكمت العراقي في الصحيح المسبور (١/ ٤٣٥)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٣٧٨١)، وحسن إسناده الدكتور عبد العلي عبد الحميد في الشعب بنفس الرقم.

٢) صحيح ابن خزيمة - كتاب المناسك- باب ذكر العلة التي مِنْ أجلها سميت عرفة عرفة- حديث: (٢٨٤٢)، وحسن إسناده الألباني في صحيح ابن خزيمة برقم (٢٨٠٤) وقال: "حسن بما قبله".

"الشَّيْطَانَ تَرْجُمُونِ وَمِلَّةَ أَبِيكُمْ تَتبعُونَ"(١).

وعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ سُنَّةٌ؟ قَالَ: صَدَقُوا، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُمِرَ بِالْمَنَاسِكِ، عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَسْعَى فَسَابَقَهُ، فَسَبَقَهُ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، فَعَرَضَ لَهُ شَيْطَانٌ - قَالَ يُونُسُ: الشَّيْطَانُ - فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، حَتَّى ذَهَبَ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، قَالَ: قَدْ تَلَّهُ لِلجَبِينِ - قَالَ يُونُسُ: وَثَمَّ تَلَّهُ لِلجَبِينِ - وَعَلَى إِسْمَاعِيلَ قَمِيصٌ أَبْيَضُ، وَقَالَ: يَا أَبَتِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي ثَوْبٌ تُكَفِّنُنِي فِيهِ غَيْرُهُ، فَاخْلَعْهُ حَتَّى تُكَفِّنَنِي فِيهِ، فَعَالَجَهُ لِيَخْلَعَهُ، فَنُودِيَ مِنْ خَلْفِهِ: ﴿ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ ﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥] فَالْتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ، فَإِذَا هُوَ بِكَبْشٍ أَبْيَضَ أَقْرَنَ أَعْيَنَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَتْبَعُ ذَلِكَ الضَّرْبَ مِنَ الكِبَاشِ، قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى الْجَمْرَةِ الْقُصْوَى، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى ذَهَبَ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مِنًى قَالَ: هَذَا مِنًى - قَالَ يُونُسُ: هَذَا مُنَاخُ النَّاسِ - ثُمَّ أَتَى بِهِ جَمْعًا، فَقَالَ: هَذَا الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ إِلَى عَرَفَةَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي لِمَ سُمِّيَتْ عَرَفَةَ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: عَرَفْتَ - قَالَ يُونُسُ: هَلْ عَرَفْتَ؟ - قَالَ:

---

١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم - كتاب المناسك -حديث: (١٧١٣)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "على شرط مسلم"، وذكره المنذري في الترغيب برقم (١٨٠٧) وقال في المقدمة: "إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١١٥٦).

نَعَمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمِنْ ثَمَّ سُمِّيَتْ عَرَفَةَ[١].

إبراهيم أول مَنْ رمى الجمار

إبراهيم عليه السلام هو أول مَنْ رمى الجمار؛ حيث رجم الشيطان كلما عرض له في المناسك، لذلك شُرع رجم الجمار في الحج بعد ذلك.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِيُرِيَهُ الْمَنَاسِكَ. قَالَ: فَلَمَّا ذَهَبَ بِهِ انْفَرَجَ لَهُ ثَبِيرٌ فَدَخَلَهُ، فَأَتَى عَرَفَاتٍ، فَقَالَ لَهُ: أَعَرَفْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ثُمَّ أَتَى جَمْعًا[٢] فَجَمَعَ بِهِ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ. قَالَ: فَمِنْ هُنَاكَ سُمِّيَتْ جَمْعًا، ثُمَّ أَتَى بِهِ مِنًى فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: خُذْ سَبْعَ حَصَيَاتٍ، فَارْمِهِ بِهَا، وَكَبِّرْ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَسَاخَ الشَّيْطَانُ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَ لَهُ: خُذْ سَبْعَ حَصَيَاتٍ فَارْمِهِ، وَكَبِّرْ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، فَفَعَلَ فَسَاخَ الشَّيْطَانُ، فَعَرَضَ لَهُ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، فَأَمَرَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَفَعَلَ فَسَاخَ الشَّيْطَانُ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَعْرِضْ لَهُ"[٣].

مشاعر الحج هي نفسها مشاعر الحج أيام إبراهيم عليه السلام

فعَنْ يَزِيدَ بْنِ شَيْبَانَ قَالَ: أَتَانَا ابْنُ مِرْبَعٍ الْأَنْصَارِيُّ وَنَحْنُ بِعَرَفَةَ فِي مَكَانٍ يُبَاعِدُهُ عَمْرو عَنِ الْإِمَامِ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

١) مسند أحمد بن حنبل - ومن مسند بني هاشم -مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب - حديث: (٢٧٠٧)، وصحح إسناده شاكر في المسند بنفس الرقم.
٢) جمع هي مزدلفة.
٣) أخبار مكة، للفاكهي - حديث: (٢٦٣١)، وذكره الدكتور ابن دهيش في المصدر السابق بنفس الرقم وقال: "إسناده حسن بالمتابعة".

إِلَيْكُمْ يَقُولُ لَكُمْ: "قِفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ"(١).

المرحلة السابعة: وفاة إبراهيم عليه السلام

وصية إبراهيم لبنيه

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة].

فقد جمع إبراهيم عليه السلام بنيه وأوصاهم أن الله اختار لهم دين الإسلام، فيجب أن يحافظوا عليه ويمتثلوا أوامر الله، وأن يعيشوا على هذا الدين العظيم وأن يموتوا عليه.

وفاة سارة وإبراهيم عليهما السلام

ماتت سارة -فيما ذكر أهل الكتاب- قبل الخليل إبراهيم ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة، ودفنها الخليل في بلدة حبرون، وهي مدينة الخليل الآن، وحزن عليها الخليل حزنًا شديدًا، ثم مات فجأة ودفنه إسماعيل وإسحاق في مدينة الخليل، وعاش إبراهيم على الراجح مائتي سنة.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالقَدُّومِ(٢)"(١*).

---

١) سنن أبي داود- كتاب المناسك - باب موضع الوقوف بعرفة - حديث: (١٩١٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود بنفس الرقم، وصحح إسناده الأرنؤوط في سنن أبي داود بنفس الرقم، وحسنه ابن حجر في هداية الرواة (٣/ ٧٣)، وصححه ابن حزم في حجة الوداع برقم (٩٧)، كما أشار في المقدمة.

٢) القدوم: قيل: المراد آلة النجار، وقيل: هو موضع بالشام.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ وَمِائَةِ سَنَةٍ بِالْقَدُّومِ، ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَانِينَ سَنَةً"(٢).

وما ذكره أبو هريرة في أنه اختتن وهو ابن مائة وعشرين سنة مخالف للمرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم، لكن ذهب أنه عاش مائتي سنة، وهذا لا يقال بالرأي.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»:

"مَاتَتْ سَارَةُ قَبْلَهُ بِقَرْيَةِ حَبْرُونَ الَّتِي فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَلَهَا مِنَ الْعُمُرِ مِائَةٌ وَسَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً -فِيمَا ذَكَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ- فَحَزِنَ عَلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَثَاهَا رَحِمَهَا اللهُ، وَاشْتَرَى مِنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حِيثَ يُقَالُ له: عفرون بن صخر مغارة بأربعمائة مثقال وَدَفَنَ فِيهَا سَارَةَ هُنَالِكَ.

قَالُوا: ثُمَّ خَطَبَ إبراهيم لابنه إسحاق فزوجه رفقا بنت بتوئيل بن ناحور بن تارح، وَبَعَثَ مَوْلَاهُ فَحَمَلَهَا مِنْ بِلَادِهَا وَمَعَهَا مُرْضِعَتُهَا وجوارها عَلَى الْإِبِلِ.

قَالُوا: ثُمَّ تَزَوَّجَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَنْطُورَا، فَوَلَدَتْ لَهُ زَمَرَانَ وَيَقِشَانَ وَمَادَانَ وَمَدْيَنَ وَشَيَاقَ وَشُوحَ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ عن أخبار أهل الكتاب في صفة مجيء مَلَكِ الْمَوْتِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْبَارًا كَثِيرَةً، اللهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهَا.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ مَاتَ فَجْأَةً، وَكَذَا دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ وَالَّذِي ذَكَرَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ

١*) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء- باب قوله: {واتخذ الله إبراهيم خليلًا} (٣٣٥٦).

٢) شعب الإيمان، للبيهقي – حديث: (٨٢٧١)، وحسن إسناده الدكتور عبد العلي عبد الحميد في المصدر السابق بنفس الرقم.

وَغَيْرُهُمْ خِلَافُ ذَلِكَ.

قَالُوا: ثُمَّ مَرِضَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَاتَ عَنْ مِائَةٍ وخمس وسبعين. وقيل: وتسعين سنة، ودُفن في المغارة المذكورة التي كانت بحبرون الحيثي عِنْدَ امْرَأَتِهِ سَارَةَ الَّتِي فِي مَزْرَعَةِ عَفْرُونَ الحيثي، وتولى دفنه إسماعيل وَإِسْحَاقُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وَقَدْ وَرَدَ مَا يَدُلُّ أَنَّهُ عَاشَ مِائَتَيْ سَنَةٍ"(١).

مكان قبره

قبره عليه السلام في مدينة الخليل، وكذلك قبر سارة وإسحاق ويعقوب، بمنطقة المربعة التي بناها سليمان عليه السلام.

ويقال: إنه تم دفن سارة وإبراهيم وإسحاق في المغارة السالف ذكرها، وعندما مات يعقوب في مصر كان قد أوصى بدفنه في تلك المغارة، فقام يوسف عليه السلام بتنفيذ وصيته وذهب في موكب مهيب إلى مدينة الخليل، وتم دفنه في المغارة المذكورة.

وتم بناء المسجد الإبراهيمي فوق تلك المغارة.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»:

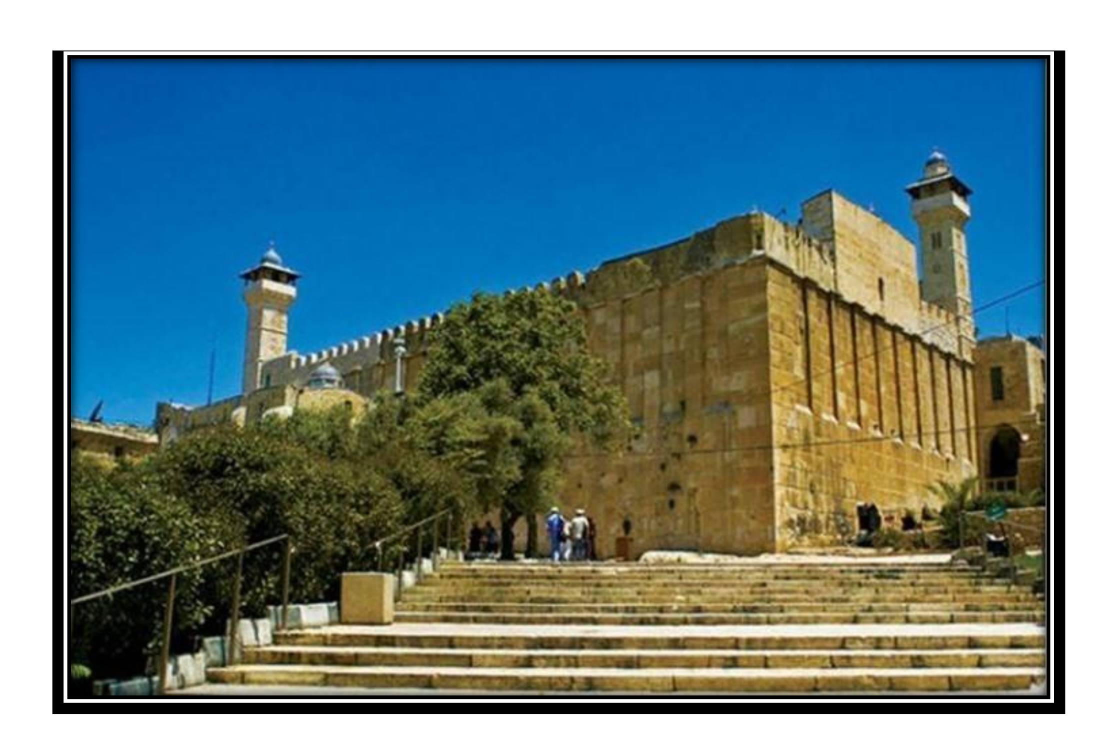
"فَقَبْرُهُ وَقَبْرُ وَلَدِهِ إسحاق وَقَبْرُ وَلَدِ وَلَدِهِ يَعْقُوبَ فِي الْمَرْبَعَةِ الَّتِي بَنَاهَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبَلَدِ "حَبْرُونَ"، وَهُوَ الْبَلَدُ الْمَعْرُوفُ بِالْخَلِيلِ الْيَوْمَ، وَهَذَا متلقى بالتواتر أمة بعد أمة وجيلًا بَعْدَ جِيلٍ مِنْ زَمَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِلَى زَمَانِنَا هَذَا؛ أَنَّ قَبْرَهُ بِالْمَرْبَعَةِ تَحْقِيقًا.

فَأَمَّا تَعْيِينُهُ مِنْهَا فَلَيْسَ فِيهِ خَبَرٌ صَحِيحٌ عَنْ مَعْصُومٍ، فَيَنْبَغِي أَنْ تُرَاعَى تِلْكَ

١) البداية والنهاية (١/ ٢٠١).

الْمَحَلَّةُ وَأَنْ تُحْتَرَمَ احْتِرَامَ مِثْلِهَا، وَأَنْ تُبَجَّلَ وَأَنْ تُجَلَّ أَنْ يُدَاسَ فِي أَرْجَائِهَا؛ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ قَبْرُ الْخَلِيلِ أَوْ أَحَدٍ مِنْ أَوْلَادِهِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَحْتَهَا"(١).

وفيما يلي صورة للمسجد الإبراهيمي وصور لقبر السيدة سارة وقبر الخليل إبراهيم:



١) البداية والنهاية (١/ ٢٠٢).


سيدتنا سارة رضي الله عنها
زوجة النبي ابراهيم عليه السلام


سيدنا
ابراهيم الخليل عليه السلام

الفصل الثالث: أزواجه وذريته ﷺ

تزوج إبراهيم- عليه السلام- بسارة وأنجب منها إسحاق، وتزوج إسحاق وأنجب يعقوب، وتزوج يعقوب وأنجب يوسف والأسباط، وكان مِنْ نسلهم موسى وهارون عليهما السلام.

وزوجة إبراهيم الثانية هاجر المِصرية، وأنجبت له إسماعيل، وكان الولد الأول لإبراهيم هو الذبيح، ومِنْ إسماعيل جاء خير المرسلين محمد- صلى الله عليه وسلم-، لذلك يخبر الرسول- صلى الله عليه وسلم- أن له في أهل مصر صهرًا.

كما تزوج الخليل بقنطورا بنت يقطن الكنعانية، فولدت له ستة منهم: مدين، وحجون بنت أمين، فولدت له خمسة منهم كيسان.

وفي تفصيل ذلك يقول ابن كثير في «البداية والنهاية»:

"أَوَّلُ مَنْ وُلِدَ لَهُ: إِسْمَاعِيلُ مِنْ هَاجَرَ القبطية المصرية، ثم وُلد له إسحاق مِنْ سَارَةَ بِنْتِ عَمِّ الْخَلِيلِ، ثُمَّ تزوَّج بَعْدَهَا "قَنْطُورَا" بِنْتَ يَقْطُنَ الْكَنْعَانِيَّةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ سِتَّةً: مَدْيَنَ وَزَمَرَانَ وَسَرَجَ وَيَقِشَانَ وَنَشَقَ، وَلَمْ يُسَمَّ السَّادِسُ، ثُمَّ تزوَّج بَعْدَهَا " حَجُونَ " بِنْتَ أمين، فولدت له خمسة: كيسان وسورج وأميم ولوطان ونافس. وهكذا ذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ السُّهَيْلِيُّ فِي كِتَابِهِ " التَّعْرِيفُ والأعلام"[(١)].

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» نقلًا عن أهل الكتاب:

"مَاتَتْ سَارَةُ قَبْلَهُ بِقَرْيَةِ حَبْرُونَ الَّتِي فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَلَهَا مِنَ الْعُمُرِ مِائَةٌ وَسَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً... ثُمَّ تَزَوَّجَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَنْطُورَا فَوَلَدَتْ لَهُ زَمَرَانَ

١) البداية والنهاية (١/ ٢٠٢).

وَيَقِشَانَ وَمَادَانَ وَمَدْيَنَ وَشَيَاقَ وَشُوحَ"[1].

وفي أسماء أولاد إبراهيم من قنطورا اختلاف بين ما نقله ابن كثير عن السهيلي وما نقله عن أهل الكتاب؛ فقد اتفقوا على ثلاثة أسماء هم: زمران ويقشان ومدين، واختلفوا في الباقي، والله أعلم بالصواب.

كما أنه يلاحظ أن السهيلي ذكر خمسة أسماء ولم يذكر السادس، ونقل ابن كثير عن أهل الكتاب ستة أسماء.

---

١) البداية والنهاية (١/ ٢٠١).

الفصل الرابع: جمع مِنْ مناقب إبراهيم ﷺ

إبراهيم عليه السلام مِنْ أُولي العزم من الرسل

قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وأولو العزم هم أولو القوة والصبر، والمشهور أنهم خمسة هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - صلى الله عليه وسلم وصلى الله عليهم أجمعين، وهم المذكورون في قوله- سبحانه وتعالى-: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ ﴾ [الشورى: ١٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ خَمْسَةٌ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ الْخَمْسَةِ: نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ"(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «خَيْرُ وَلَدِ آدَمَ نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَيْرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم- كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين- ذكر نوح النبي صلى الله عليه وسلم - حديث: (٤٠٠٧)، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد"، وقال الذهبي في التلخيص: "صحيح".

٢) السنة، لأبي بكر الخلال - حديث: (٣٢٤)، وصحح إسناده الدكتور هشام الصيني في

إبراهيم يختن نفسه بالقدوم

الختان مِنْ سنن الفطرة، ولما جاء الأمر لإبراهيم عليه السلام بالاختتان، سارع وامتثل لأمر الله حتى إنه ختن نفسه بقدوم كان معه، وكان عمره وقتها ثمانين سنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقَدُّومِ"(١).

إبراهيم عليه السلام أول مَنْ ضيَّف الضيف

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "كان أولَ مَنْ ضَيَّفَ الضيفَ إبراهيمُ، وهو أولُ مَنِ اخْتَتَنَ على رَأْسِ ثمانينَ سنة، واختتن بِالقَدُومِ"(٢).

إبراهيم خير البرية ونُعِت بالكرم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ"**(٣).

ونُعت إبراهيم بخير البرية من باب تواضع النبي ﷺ، ولا ينافي هذا الأفضلية المطلقة للنبي ﷺ؛ فهو سيد ولد آدم كما ثبت عنه صلوات ربي

أقوال الصحابة في مسائل الاعتقاد برقم (١٧).

١) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء- باب قوله: {واتخذ الله إبراهيم خليلا} (٣٣٥٦).

٢) تاريخ دمشق، لابن عساكر - حديث: (١٤٧٤)، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧٢٥).

٣) صحيح مسلم - كتاب الفضائل -باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم - حديث: (٢٣٦٩).

وسلامه عليه.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ: يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ"**(١).

وكان إبراهيم عليه السلام سخيًّا كريمًا، حتى إذا أتاه الضيوف يضيفهم بعجل ثمين مشوي.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾[هود].

إبراهيم خليل الرحمن

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء].

وعن جُنْدُبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: **"إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ"**(٢).

---

١) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء -باب قول الله تعالى: {لقد كان في يوسف وإخوته آيات} - حديث: (٣٣٩٠).

٢) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب النهي عن بناء المساجد على

ولكن ما معنى «الخليل»؟ الخليل هو: المحب الذي تخلل حبه مسالك النفس، فهو أكبر مِنَ الحبيب.

إبراهيم أبو الأنبياء

كل الأنبياء الذين جاؤوا مِنْ بعده مِنْ نسله ومن ذريته صلى الله عليه وسلم، وإلى هذا ذهب ابن كثير في «البداية والنهاية».

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»:

"لَمَّا هَجَرَ قَوْمَهُ فِي اللهِ وَهَاجَرَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَكَانَتِ امْرَأَتُهُ عَاقِرًا لَا يُولَدُ لَهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ أَحَدٌ، بَلْ مَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ لُوطُ بْنُ هَارَانَ بْنِ آزَرَ وَهَبَهُ اللهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ الْأَوْلَادَ الصَّالِحِينَ، وَجَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ النبُّوة وَالْكِتَابَ، فَكُلُّ نَبِيٍّ بُعث بَعْدَهُ فَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَكُلُّ كِتَابٍ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَعَلَى أَحَدِ نَسْلِهِ وَعَقِبِهِ خِلْعَة مِنَ اللهِ وَكَرَامَةً لَهُ؛ حِينَ تَرَكَ بِلَادَهُ وَأَهْلَهُ وَأَقْرِبَاءَهُ وَهَاجَرَ إِلَى بَلَدٍ يتمكن فيها مِنْ عبادة ربه عز وجل، وَدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَالْأَرْضُ الَّتِي قَصَدَهَا بِالْهِجْرَةِ أرض الشام"(١).

الله يصلي على إبراهيم الخليل

والمقصود بصلاة الله على إبراهيم عليه السلام: ثناؤه عليه.

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: **"قُولُوا: اللَّهُمَّ**

القبور (٥٣٢).

١) البداية والنهاية (١/ ١٧٣).

صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"(١).

أول مَنْ يُكسى يوم القيامة إبراهيمُ

حيث يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة، وأولُ مَنْ يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"تُحْشَرُونَ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا"**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٤] **فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**(٢)**، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ:** ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة]"(٣).

وعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: "أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنَ الْخَلَائِقِ إِبْرَاهِيمُ قُبْطِيَّتَيْنِ(٤)، وَيُكْسَى

---

١) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء- باب (٣٣٧٠).

٢) قال البخاري: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الفَرَبْرِيُّ: ذُكِرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ، عَنْ قَبِيصَةَ، قَالَ: "هُمُ المُرْتَدُّونَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ".

٣) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء- باب قول الله: {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيا} (٣٤٤٧).

٤) «قُبْطِيَّتَيْنِ»: مفردها: قبطية، وهي ثياب كتان بيض رقاق، وكانت تصنع بمصر.

مُحَمَّدٌ بُرْدَةً حِبَرَةً"، قَالَ: "وَهُوَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ"[1].

أعد الله له قصرًا في الجنة من لؤلؤة واحدة

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»:

"قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ الْقَطَّانُ الْوَاسِطِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ قَصْرًا** -أَحْسَبُهُ قَالَ: **مِنْ لؤلؤة- ليس فيها فصم ولا وهن**[2]، **أَعَدَّهُ اللهُ لِخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نُزُلًا**"[3].

قال البزار: وحدثناه أَحْمَدُ بْنُ جَمِيلٍ الْمَرْوَزِيُّ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم، بِنَحْوِهِ[4].

ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ فَأَسْنَدَهُ إِلَّا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ وَالنَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، وَغَيْرُهُمَا يَرْوِيهِ مَوْقُوفًا.

---

١) مسند أبي يعلى الموصلي - مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه- حديث: (٥٦٦)، وقال حسين سليم أسد في مسند الموصلي: "رجاله ثقات"، وصححه عبد القادر بن عبد الكريم بن عبد العزيز جوندل في المطالب العالية برقم (٤٥٧٩)، وصحح إسناده الألباني في مختصر العلو برقم (٨٩)، وصححه الدكتور سعد الشثري في مصنف ابن أبي شيبة رقم (٣٨٦٨٣).

٢) «**فصم ولا وهن**»: المراد: تصدع ولا ضعف. والمعنى: أنه مِنْ لؤلؤة واحدة ليس فيها شروخ، وهي متينة في ذاتها.

٣) كشف الأستار عن زوائد مسند البزار، لابن حجر - رقم (٢٣٤٦)، ولم أعثر عليه في مسند البزار فلعله مفقود.

٤) كشف الأستار عن زوائد مسند البزار، لابن حجر – رقم (٢٣٤٧)، ولم أعثر عليه في مسند البزار فلعله مفقود.

قُلْتُ: لَوْلَا هَذِهِ الْعِلَّةُ لَكَانَ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ"[1].

أراه الله كيف يحيي الموتى

طلب إبراهيم- عليه السلام- مِنْ ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فسأله: ألم تؤمن يا إبراهيم؟ قال: آمنت ولكن أريد أن أزداد يقينًا على يقيني، فقال له الله: خذ أربعة من الطير فاذبحهن وقطعهن، وضع على كل جبل منهن جزءًا من هذه الطيور، ثم نادِ عليهن فسوف يأتينك مسرعات بإذن الله، ففعل إبراهيم ما أمره ربه، فجاءت الطيور مسرعات إليه.

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٠].

حماه الله مِنْ أسَدَان مُجَوَّعَان

عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: أُرْسِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ -عَلَيهِ السَّلَامُ- أَسَدَانِ مُجَوَّعَانِ، قَالَ: فَلَحَسَاهُ وَسَجَدَا لَهُ[2].

فقد حماه الله مِنْ أسَدَان تم تجويعهما ليفتكا به، فحماه الله منهما وخضعا له وسجدا له، وتلك كانت معجزة للخليل إبراهيم عليه السلام.

---

١) البداية والنهاية (١/ ١٩٩).

٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٩٨٤)، وصححه الدكتور سعد الشثري في مصنف ابن أبي شيبة بنفس الرقم.

لقاء الخليل والحبيب في السماء

في رحلة المعراج التقى الحبيب محمد ﷺ بالخليل إبراهيم ﷺ في السماء السابعة؛ حيث كان مسندًا ظهره للبيت المعمور، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال له: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، وقال له: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ.

والتقى النبي ﷺ بمجموعة مِنَ الأنبياء فأمهم للصلاة، وكان مِنْ بينهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: "**...ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المُنْتَهَى...**"[1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"**...ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي**

---

١) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب المعراج - حديث: (٣٨٨٧).

إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى..."(١).

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ"**(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ – يَعْنِي: نَفْسَهُ – فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ"**(٣).

ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفًا مسلمًا

لم يكن إبراهيم عليه السلام يهوديًّا ولا نصرانيًّا؛ لأنه كان يسبق موسى وعيسى، ويسبق التوراة والإنجيل، فكيف يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا؟!

بل كان حنيفًا مسلمًا، اختار الله له الدين الحنيف، وهو الدين الحق، ومعنى

١) صحيح مسلم - حديث: (١٦٢).
٢) سنن الترمذي - حديث: (٣٤٦٢)، قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ"، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي بنفس الرقم، وحسنه ابن حجر في هداية الرواة (٢/ ٤٣٩).
٣) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب ذكر المسيح ابن مريم - حديث: (١٧٢).

«حنيف»؛ أي: المائل عن الباطل إلى الحق، أي: الدين المستقيم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨ ﴾ [آل عمران].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ الْمِدْرَاسِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ يَهُودَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، فَقَالَ لَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَمْرٍو وَالْحَارِثُ بْنُ زَيْدٍ: عَلَى أَيِّ دِينٍ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ: **"عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ"**، فَقَالَا: فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"فَهَلُمُّوا إِلَى التَّوْرَاةِ فَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ"**، فَأَبَوْا عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤ ﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤]"[١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "اجْتَمَعَتْ نَصَارَى نَجْرَانَ وَأَحْبَارُ يَهُودَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَهُ، فَقَالَتِ الْأَحْبَارُ: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا يَهُودِيًّا،

---

١) جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري - سورة آل عمران مدنية -القول في تأويل قوله تعالى: {ألم تر إلى الذين أوتوا...} - حديث: (٦٧٢١)، وحسن إسناده الدكتور حكمت العراقي في الصحيح المسبور (١/ ٤٠٧).

وَقَالَتِ النَّصَارَى: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا نَصْرَانِيًّا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥] قَالَتِ النَّصَارَى: كَانَ نَصْرَانِيًّا، وَقَالَتِ الْيَهُودُ: كَانَ يَهُودِيًّا، فَأَخبرهُمُ اللهُ أَنَّ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مَا أُنْزِلَا إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ، وَبَعْدَهُ كَانَتِ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ"(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ وَلِيِّي أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي"**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]"(٢).

نزول الصحف على إبراهيم ﷺ

أنزل الله الصحف على إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وفيها الكثير من المواعظ الحسنة، وكل الأمور المستحسنة والمواعظ الحسنة الواردة في «سورة الأعلى» ذُكرت في صحف إبراهيم عليه السلام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ

---

١) جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري - سورة آل عمران مدنية -القول في تأويل قوله تعالى: {يا أهل الكتاب لم تحاجون...} - حديث: (٧٢٠٢)، وحسن إسناده الدكتور حكمت العراقي في الصحيح المسبور (١/ ٤٢٣).

٢) سنن الترمذي - أبواب تفسير القرآن - باب: ومن سورة آل عمران (٢٩٩٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وصححه أحمد شاكر في عمدة التفسير (١/ ٣٨١)، وحسنه ابن حجر في هداية الرواة (٥/ ٢٦٤)، ورواه الحاكم في المستدرك وصححه برقم (٣١٥١) وقال: "صحيح على شرط الشيخين"، وقال الذهبي في التلخيص: "على شرط البخاري ومسلم"، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار برقم (١٠٠٩)، وصحح إسناده الأرنؤوط في مشكل الآثار بنفس الرقم.

ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾] قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**كُلُّهَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**"، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ...﴾ فَبَلَغَ: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ ثَقَّلَهُ وَقَالَ: وَفَّى ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ ...﴾ إِلَى قَوْلِهِ:﴿هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ﴾ [النجم: ١- ٥٦]"[١].

يقول الشيخ السعدي في «تفسيره»:

"{ إِنَّ هَٰذَا } المذكور لكم في هذه السورة المباركة، من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة { لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾} اللذين هما أشرف المرسلين، سوى النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

فهذه أوامرُ في كل شريعة، لكونها عائدةً إلى مصالح الدارين، وهي مصالحُ في كل زمان ومكان"[٢].

وعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ**

١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم - كتاب التفسير (٢٩٣٠)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "صحيح".
٢) تفسير السعدي (ص ٩٢١).

لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ"[1].

وقد أُنزلت الصحف عليه جملة واحدة.

يقول ابن كثير في «تفسيره»:

"أَمَّا الصُّحُفُ وَالتَّوْرَاةُ وَالزَّبُورُ وَالْإِنْجِيلُ -فَنَزَلَ كُلٌّ مِنْهَا عَلَى النَّبِيِّ الذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّمَا نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ ﴾ [الْقَدْر]. وَقَالَ:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ ﴾ [الدُّخَانِ]، ثُمَّ نَزَلَ بعدُ مُفَرَّقًا بِحَسْبِ الْوَقَائِعِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[2].

لان الحجر تحت قدمه وأمرنا الله أن نتخذ مِنْ مُقامه مصلى

عندما أمر الله إبراهيم برفع قواعد البيت الحرام، وكان إسماعيل عليه السلام يناوله الحجارة وإبراهيم يقوم ببنائها، ولما ارتفع البناء ولم يستطع إبراهيم مواصلة البناء، فجاءا بحجر فوضعاه بجوار جدار الكعبة؛ لكي يقف عليه خليل الرحمن ويواصل البناء، فلما وقف عليه غاصت قدماه في الحجر وطُبعت فيه؛ حيث تجد موضع القدمين ظاهرًا فيه والأصابع، وتلك كانت معجزة للخليل إبراهيم عليه السلام.

وهذا الحجر هو مقام إبراهيم؛ أي: المكان الذي كان يقوم فيه إبراهيم لبناء

---

١) مسند أحمد بن حنبل - مسند الشاميين- حديث واثلة بن الأسقع (١٦٩٨٤)، وصححه أحمد شاكر في عمدة التفسير (١/ ٢٢٠)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة وحسن إسناده برقم (١٥٧٥)، وصححه في صحيح الجامع برقم (١٤٩٧).

٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٠١).

الكعبة، وقد تركه بعد انتهاء البناء بجوار جدار الكعبة، وفي عهد عمر أُخر عن مكانه إلى الخلف؛ لكي لا يعيق الطواف.

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية»:

"وَقَدْ كَانَ هَذَا الْحَجَرُ مُلْصَقًا بِحَائِطِ الْكَعْبَةِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ إِلَى أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَأَخَّرَهُ عَنِ البيت قليلًا؛ لئلا يشغل المصلين عِنْدَهُ الطَّائِفِينَ بِالْبَيْتِ، وَاتَّبَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِي هَذَا، فَإِنَّهُ قَدْ وَافَقَهُ رَبُّهُ فِي أَشْيَاءَ، مِنْهَا: فِي قَوْلِهِ لِرَسُولِهِ- صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ ﴾[البقرة: ١٣٥]، وَقَدْ كَانَتْ آثَارُ قَدَمَي الْخَلِيلِ بَاقِيَةً فِي الصَّخْرَةِ إِلَى أَوَّلِ الْإِسْلَامِ"(١).

وصف الحجر

شكله: هو حجر مضلع رباعي الشكل، طول كل ضلع مِنْ أضلاعه الثلاثة من جهة السطح- ستة وثلاثون سنتيمترًا، وطول ضلعه الرابع ثمانية وثلاثون سنتيمترًا.

ارتفاعه: عشرون سنتيمترًا.

لونه: الحجر ما بين الصفرة والحمرة، وهو إلى البياض أقرب.

وفيما يلي صورة لمقام إبراهيم عليه السلام:

١) البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ١٨٩).



إبراهيم أولُ مَنْ وَفَّى بما أُومر به

قال تعالى:﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ٣٧ ﴾.

قال الشيخ السعدي في «تفسيره»:

" ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ٣٧ ﴾ [النجم]؛ أي: قام بجميع ما ابتلاه الله به، وأمره به من الشرائع وأصول الدين وفروعه". انتهى كلامه.

ومما ابتلاه الله به عشرة أمور ذكرها ابن عباس في الأثر التالي:

فعَنِ ابْنِ هُبَيْرَةَ، عَنْ حَنَشِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الصَّنْعَانِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾ قال: يا معشر، سِتٌّ فِي الإِنْسَانِ، وَأَرْبَعٌ فِي الْمَشَاعِرِ. فَأَمَّا الَّتِي فِي الإِنْسَانِ: حَلْقُ الْعَانَةِ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَالْخِتَانُ، وَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ يَقُولُ: هَؤُلاءِ الثَّلاثُ وَاحِدَةٌ، وَتَقْلِيمُ الأَظَافِرِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَالسِّوَاكُ وَغُسْلُ يوم الجمعة. وَالأَرْبَعَةُ الَّتِي فِي الْمَشَاعِرِ: الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الْجِمَارِ،

وَالإِفَاضَةُ"(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَوْلَهُ: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ ﴾ [البقرة: ١٢٤] قَالَ: "مَنَاسِكُ الْحَجِّ"(٢).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: "سِهَامُ الْإِسْلَامِ ثَلَاثُونَ سَهْمًا لَمْ يُتَمِّمْهَا أَحَدٌ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٧]"(٣).

ثناء الله عليه عليه السلام

جعله الله إمامًا وجعل في ذريته النبوة والكتاب

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة].

لمَّا أتم إبراهيم الكلمات التي ابتلاه الله بها، قال الله له: إني جاعلك للناس إمامًا، وجعل في ذريته النبوة والكتاب.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية»:

١) تفسير ابن أبي حاتم - طبعة دار ابن الجوزي - حديث: (١١٧٥)، وصحح إسناده محققه وقال: "وصحح هذا الإسناد أحمد شاكر في تعليقه على الطبري (٣/ ١٠)".
٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم- كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين- ذكر من قال: إن الذبيح إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام - حديث: (٤٠٥٠)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد وشواهدها كثيرة قد خرجتها في كتاب المناسك"، وصححه الذهبي في التلخيص.
٣) المستدرك على الصحيحين، للحاكم - كتاب التفسير- تفسير سورة النجم (٣٧٥٣)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "صحيح".

"لما وَفَّى مَا أَمَرَهُ رَبُّهُ بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ ، جَعَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا يَقْتَدُونَ بِهِ وَيَأْتَمُّونَ بهديه، وسأل الله أن تكون هَذِهِ الْإِمَامَةُ مُتَّصِلَةً بِسَبَبِهِ وَبَاقِيَةً فِي نَسَبِهِ، وَخَالِدَةً فِي عَقِبِهِ، فَأُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ وَرَامَ.

وَسُلِّمَتْ إِلَيْهِ الْإِمَامَةُ بِزِمَامٍ، وَاسْتُثْنِيَ مِنْ نَيْلِهَا الظَّالِمُونَ، وَاخْتُصَّ بِهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْعُلَمَاءُ العاملون.

كما قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الانعام].

فالضمير في قوله: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ} عَائِدٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، عَلَى الْمَشْهُورِ.

وَلُوطٌ وَإِنْ كَانَ ابْنَ أَخِيهِ، إِلَّا أَنَّهُ دَخَلَ فِي الذُّرِّيَّةِ تَغْلِيبًا.

وَهَذَا هُوَ الْحَامِلُ لِلْقَائِلِ الْآخَرِ أَنَّ الضَّمِيرَ عَلَى نُوحٍ، كَمَا قَدَّمْنَا فِي قِصَّتِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ ...﴾ الْآيَةَ [الحديد: ٢٦].

فَكُلُّ كِتَابٍ أُنْزِلَ مِنَ السَّماء عَلَى نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ فَمِنْ

ذُرِّيَّتِهِ وَشِيعَتِهِ.

وَهَذِهِ خِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ لَا تُضَاهَى، وَمَرْتَبَةٌ عَلِيَّةٌ لَا تُبَاهَى.

وَذَلِكَ أَنَّه وُلد له لصلبه ولدان ذكران عظيمان: إسماعيل مِنْ هاجر، ثم إسحاق مِنْ سَارَةَ، وَوُلِدَ لِهَذَا يَعْقُوبُ، وَهُوَ إِسْرَائِيلُ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ سَائِرُ أَسْبَاطِهِمْ، فَكَانَتْ فِيهِمُ النُّبُوَّةُ وَكَثُرُوا جِدًّا؛ بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا الَّذِي بَعَثَهُمْ وَاخْتَصَّهُمْ بِالرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ، حَتَّى خُتِمُوا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وأما إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَانَتْ مِنْهُ الْعَرَبُ عَلَى اخْتِلَافِ قَبَائِلِهَا، كَمَا سَنُبَيِّنُهُ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَلَمْ يُوجَدْ مِنْ سُلَالَتِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ سِوَى خَاتَمِهِمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَسَيِّدِهِمْ، وَفَخْرِ بَنِي آدَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْمَكِّيِّ ثُمَّ الْمَدَنِيِّ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يُوجَدْ مِنْ هَذَا الْفَرْعِ الشَّرِيفِ وَالْغُصْنِ الْمُنِيفِ سِوَى هَذِهِ الْجَوْهَرَةِ الْبَاهِرَةِ وَالدُّرَّةِ الزَّاهِرَةِ، وَوَاسِطَةِ الْعِقْدِ الْفَاخِرَةِ، وَهُوَ السَّيِّدُ الَّذِي يَفْتَخِرُ بِهِ أَهْلُ الْجَمْعِ، وَيَغْبِطُهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(١).

وصفه الله بأنه كان أمة قانتًا

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ [النحل].

أي: أنه كان قدوة يُهتدى به، وكان طائعًا لله سبحانه وتعالى، وكان شاكرًا

١) البداية والنهاية (١/ ١٩١-١٩٢).

لنعم الله عليه.

وصفه الله بأنه حليم أواه منيب

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود].

و«حليم»؛ أي: يتسم بالحلم وسعة الصدر وعدم الغضب.

و{أواه}؛ أي: يتضرع إلى الله في جميع الأوقات.

و{منيب}: كثير الرجوع إلى الله، مقبل عليه في كل أمر.

تحية الله لإبرهيم ووصفه بالإحسان والإيمان وأنه يستحق الثناء الدائم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الصافات].

فقد وصف الله إبراهيم بأنه يستحق الثناء الدائم، وأنه من المحسنين في عبادة الله وفي معاملة خلقه.

يقول الشيخ السعدي في «تفسيره»:

"{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ}}؛ أي: وأبقينا عليه ثناء صادقًا في الآخرين، كما كان في الأولين، فكل وقت بعد إبراهيم عليه السلام فإنه فيه محبوب معظم مثنى عليه.

{سَلَامٌ عَلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ}}؛ أي: تحيته عليه، كقوله: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾.

{ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ } في عبادة الله، ومعاملة خلقه، أن نفرج عنهم الشدائد، ونجعل لهم العاقبة، والثناء الحسن".

وصفه الله بأنه من الأخيار

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ص].

فقد أثنى الله على إبراهيم وإسحاق ويعقوب ووصفهم بأنهم أولو القوة وأهل البصيرة في دين الله، وأنه سبحانه اختصهم بخصيصة، وهي أن يذكروا الدار الآخرة على الدوام، وأنهم ممن اختارهم الله للرساله، وأنهم من الأخيار في أعمالهم وأخلاقهم.

يقول الشيخ السعدي في «تفسيره» لهذه الآيات سالفة الذكر:

"يقول تعالى: {وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ} الذين أخلصوا لنا العبادة ذكرًا حسنًا، {إِبْرَاهِيمَ} الخليل {و} ابنه {إِسْحَاقَ} ابن ابنه {وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى}؛ أي: القوة على عبادة الله تعالى {وَٱلْأَبْصَٰرِ}؛ أي: البصيرة في دين الله. فوصفهم بالعلم النافع، والعمل الصالح الكثير.

{إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ} عظيمة، وخصيصة جسيمة، وهي:{ذِكْرَى ٱلدَّارِ} جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعتبر، ويُذكرون بأحسن الذكر.

{وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ} الذين اصطفاهم الله من صفوة خلقه،

{ٱلۡأَخۡيَارِ} الذين لهم كل خلق كريم، وعمل مستقيم"[1].

إبراهيم في الجنة يكفل ذراري المؤمنين

أطفال المؤمنين الذين ماتوا صغارًا يدخلون الجنة؛ حيث يكونون في روضة من رياض الجنة، ويكفلهم ويراعهم إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة عليها السلام.

والمراد هنا: أن أرواحهم تدخل الجنة تتنعم فيها ويكفلهم هناك أرواح إبراهيم وسارة. أما أجسادهم ففي قبورهم، ولن يدخل أحد الجنة بالروح والجسد إلا في يوم القيامة، وبعد تجاوز الصراط. والله تعالى أعلى وأعلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"ذَرارِيُّ المؤمنين يكفُلُهم إبراهيم في الجنة"**[2].

✪ **وفي رواية للحاكم:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَوْلَادُ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَبَلٍ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ، حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**[3].

---

1) تفسير السعدي (ص ٧١٤).
2) صحيح ابن حبان -كِتَابُ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ- حديث: (٧٤٠٣)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان بنفس الرقم، وأخرجه أحمد في مسنده برقم (٨٣٢٤)، وحسن إسناده الأرنؤوط في المسند بنفس الرقم، وحسن إسناده أحمد شاكر في المسند برقم (٨٣٠٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٣٣٩٩) وقال: "صحيح الإسناد"، وقال الذهبي في التلخيص: "صحيح".
3) المستدرك على الصحيحين، للحاكم - كتاب الجنائز - حديث: (١٤١٨)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "على شرطهما"، وقال العيني في عمدة القاري (٨/ ٣١): "على شرط الشيخين"، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠٢٣).

وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: **"هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا"** قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: **"إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ**[1]**، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ"** قَالَ: **"قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا مَا هَؤُلَاءِ؟"** قَالَ: **"قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ"**... قَالَ: **"قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟"** قَالَ: **"قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ... وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ؛ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ"**[2].

وعن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ... ثُمَّ انْطُلق بِي فَإِذَا أَنَا بِغِلْمَانٍ يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْنِ،** فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: **هَؤُلَاءِ ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ شُرِفَ بِي شَرَفًا فَإِذَا أَنَا بِثَلَاثَةٍ يَشْرَبُونَ مِنْ خمرٍ لَهُمْ،** فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ **قَالُوا: هذا إبراهيم وموسى وعيسى وهم ينتظرونك"**[3].

---

1) تعليق البغا: "(معتمة) ؛ أي: غطاها الخصب؛ أي: كثيرة النبت. (لون الربيع) وفي نسخة: (نور الربيع)؛ أي: زهر الشجر في الربيع.

2) صحيح البخاري- كتاب التعبير -باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٧٠٤٧).

3) صحيح ابن حبان - كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة - ذكر وصف عقوبة أقوام من أجل أعمال ارتكبوها - حديث: (٧٤٤٨)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان بنفس الرقم، وصحح إسناده الأرنؤوط في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان برقم (٧٤٩١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٢٨٣٧) وقال: "صحيح على شرط مسلم"، وقال الذهبي في التلخيص: "على شرط مسلم"، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم (١٩٨٦)، وصححه الوادعي في الصحيح المسند برقم

ورؤيا الأنبياء حق، كما تقدم.

إبراهيم يرى ملكوت السموات والأرض

فعَنْ سَلْمَانَ قَالَ: لَمَّا أُرِيَ إِبْرَاهِيمُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، رَأَى عَبْدًا عَلَى فَاحِشَةٍ، فَدَعَا عَلَيهِ، فَهَلَكَ، ثُمَّ رَأَى آخَرَ فَدَعَا عَلَيهِ، فَهَلَكَ، ثُمَّ رَأَى آخَرَ فَدَعَا عَلَيهِ، فَهَلَكَ، فَقَالَ اللهُ: أَنْزِلُوا عَبْدِي، لَا يُهْلَك عِبَادِي"(١).

الفصل الخامس: مواقفُ لإبراهيمَ عليه السلام في الآخرة

حوار إبراهيم مع أبيه ومسخه إلى ضبع قذر

دعا إبراهيم أباه إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام، وأخبره أنها لا تنفع ولا تضر، وأنه لم يأتِ بشيء من عند نفسه ولكنه وحيٌ من عند الله -سبحانه وتعالى، ويجب عليه اتباعه، فيكون من أصحاب الصراط المستقيم الموصل إلى الجنة، وأمره ألا يعبد الشيطان باتباع منهجه الفاسد مِنْ تزيين عبادة الأصنام وغير ذلك، فكل سبل الشيطان مصيرها إلى النار، فبين له إبراهيم طريق الخير وطريق التوحيد الذي سوف يؤدي به إلى الجنة، وبَيَّن له طريق الكفر والشر الذي سوف يؤدي به إلى النار، فلم يطعه أبوه في ذلك، بل توعده بالرجم إن كلمه في هذا الأمر مرة أخرى وأمره أن يفارقه، فاستغفر إبراهيم لأبيه وقال له: سلام عليك، فاعتزله إبراهيم وما يعبد مِنَ الأصنام، وأصر أبوه على كفره وعناده حتى مات.

---

(٤٨٤).

١) مصنف ابن أبي شيبة – حديث: (٣٦٩١٧)، وصححه الدكتور سعد الشثري في مصنف ابن أبي شيبة بنفس الرقم.

قال تعالى مبينًا ذلك: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ ﴾ [مريم].

ويوم القيامة يلقى إبراهيم أبيه آزر وقد علا وجهه السواد، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: أطعني ولا تعصني، وأسلم لله- سبحانه وتعالى- واترك عبادة الأصنام؟

فيقول له أبوه: اليوم لا أعصيك.

فيشفع له إبراهيم، ويقول لله- سبحانه وتعالى: رب، إنك وعدتني ألا تخزني يوم القيامة، وإلقاء أبي في الجحيم مِنَ الخزي.

فيرد الله- سبحانه وتعالى- قائلًا: "إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ".

ثم يقول له: انظر تحت رجليك، فينظر إبراهيم فيرى أباه قد مُسخ إلى ضبع متلطخ بالدماء والوسخ والقاذورات، ثم يأمر الله به فيُؤخذ مِنْ أرجله فيُلقى في النار، أعاذنا الله وإياكم.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: **"يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ**

إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَلَّا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ"(١).

لجوء الخلائق إلى إبراهيم عليه السلام يوم القيامة

تلجأ الخلائق إلى إبراهيم ليشفع لهم ليبدأ الله في الحساب، وذلك بعد أن يلجؤوا إلى آدم ثم نوح؛ حيث يقولون: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى.

والكذبات الثلاث هي قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]، وَقَوْلُهُ لِآلِهَتِهِمْ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]..."(٢).

وهذه الكذبات كان يدافع بها ويحاجج بها عن دين الله سبحانه وتعالى.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا**

---

١) صحيح البخاري (٣٣٥٠).
٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان- باب أدنى أهل الجنة منزلة ... (١٩٤).

تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ..."(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**، ثُمَّ قَالَ: **"أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لَا يَسْأَلُونَهُ قَالَ: **"أَلَا تَقُولُونَ كَيْفَهْ؟"** قَالُوا: كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **"يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"** وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، وَزَادَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: وَذَكَرَ قَوْلَهُ فِي الْكَوْكَبِ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]،

---

١) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن- باب: {ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا} (٤٧١٢).

وَقَوْلَهُ لِآلِهَتِهِمْ: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وَقَوْلَهُ: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ٨٩]..."(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ"**، قَالَ: **"فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَزَعَاتٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا أُهْبِطْتُ مِنْهُ إِلَى الأَرْضِ وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: إِنِّي دَعَوْتُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ دَعْوَةً فَأُهْلِكُوا، وَلَكِنِ اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ"**، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَا مِنْهَا كَذِبَةٌ إِلَّا مَا حَلَّ بِهَا عَنْ دِينِ اللهِ(٢)، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى..."**(٣).

شفاعة إبراهيم في قومه

فما مِنْ نبي يوم القيامة إلا وله شفاعة في قومه، فيقوم إبراهيم فيشفع في قومه وأمته فيستجيب الله له، ويقول الله لملائكته الكرام: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ أَوْ شَعِيرَةٌ مِنْ إيمان.

فعَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا رَبَّاهُ، فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا: يَا لَبَّيْكاه! فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، حَرَّقْتَ بَنِّي، فَيَقُولُ: أَخْرِجُوا

---

١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان- باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤).
٢) «**ما حل**»: دافع وحاجج.
٣) سنن الترمذي - أبواب تفسير القرآن - باب: ومن سورة بني إسرائيل (٣١٤٨)، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي بنفس الرقم.

مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ أَوْ شَعِيرَةٌ مِنْ إيمان"[1].

الفصل السادس: الدروس والعبر المستفادة من قصة إبراهيم عليه السلام

تكمن الدروس والعبر المستفادة من قصة إبراهيم عليه السلام فيما يلي:

١- أن مَنْ تَوَكَّل على الله فهو حسبه وكافيه، فقد توكل الخليل إبراهيم عليه السلام على الله، وقال وهو في النار: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، فأنجاه الله من النار.

٢- صدق التوكل مع الأخذ بالأسباب المشروعة في كل أمر.

٣- إحسان العمل ثم الدعاء بقَبُوله، فقد أحسن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام العمل في بناء الكعبة، ثم قالا: {ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم}.

٤- الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله وفي سبيل الدعوة إليه.

٥- الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، فقد قام الخليل بتجهيز جيش وهزم جيش الكافرين، وفك أسر لوط عليه السلام.

٦- لا بد من الاستسلام لأمر الله، حتى لو لم نقتنع به؛ فقد استسلم إبراهيم وإسماعيل لأمر الذبح، بالرغم أنه -عقلًا- لا مبرر له.

٧- مَنِ استسلم وانقاد لأمر الله فليبشر بالخير، فقد جاء الفرج لإبراهيم

---

١) صحيح ابن حبان - كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة (٧٣٣٤)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان بنفس الرقم، وصحح إسناده الأرنؤوط في الإحسان برقم (٧٣٧٨) وقال: "إسناده صحيح على شرط الشيخين"، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد برقم (٤٧٧) وصححه، كما أشار في المقدمة.

وإسماعيل بعد الاستسلام لأمر الله، وفدى الله إسماعيل بكبش عظيم.

٨- البدء بدعوة الأقربين ثم الأباعد، فقد بدأ إبراهيم بدعوة أبيه ثم دعا قومه.

٩- الفزع إلى الصلاة حال الخوف؛ فقد فزع إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة لما خشي على سارة من ملك مصر، فنجاها الله من كيده.

١٠- الهجرة في سبيل الله إذا ضاقت الأرض على الصالحين، فيجب على المرء أن يهاجر؛ حفاظًا على دينه إذا خشي الفتنة، وقد هاجر إبراهيم بدينه من بابل إلى حران ثم إلى الأرض المقدسة.

١١- إكرام الضيف والإحسان إليه، فكان إبراهيم أبا الضيفان، وكان كريمًا جدًّا مع الضيوف، فكان يقدم لضيوفه عجلًا ثمينًا مشويًّا.

١٢- أن الكرم خلق حسن يجب التخلق به.

١٣- أن مَنْ ترك شيئًا لله؛ عوضه الله خيرًا منه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ ﴾ [مريم].

١٤- استخدام أسلوب الإقناع في الدعوة، فقد استخدمه إبراهيم مع قومه كثيرًا؛ عندما قال لهم: {بل فعله كبيرهم هذا}، وعندما قال: {هذا ربي هذا أكبر}، وعندما قال: {لا أحب الآفلين}.

١٥- الإكثار من الدعاء؛ فقد دعا إبراهيم ربه أن يهبه من الصالحين.

الفصل السابع: أول من بَدَّل دين إبراهيم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فرأيتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قمعة بن خِندف يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ غيَّر عَهْدَ إِبْرَاهِيمَ وسيّب السَّوَائِبَ وَكَانَ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِأَكْثَمَ بْنِ أَبِي الْجَوْنِ الْخُزَاعِيِّ"** فَقَالَ الْأَكْثَمُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ يَضرُّني شَبَهُهُ؟ فقال: **"إنك مسلم وهو كافر"**(١).

✪ **وفي رواية لابن أبي عاصم:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِأَكْثَمَ بْنِ الْجَوْنِ: **"إِنِّي رَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَوَّلَ مَنْ حَمَى الْحِمَى وَسَيَّبَ السَّوَائِبَ وَبَحرَ الْبَحِيرَةَ وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ، وَغَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ"** قَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ يَضُرُّنِي ذَلِكَ شَيْئًا؟ قَالَ: **"لَا، إِنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ"**(٢).

فعمرو بن لحي الخزاعي هو أول مَنْ بَدَّل دين إبراهيم، وجاء بالأصنام من الشام ونصبها حول الكعبة، ودعا الناس إلى عبادتها؛ زاعمًا أنها تُنزل المطر وتجلب الرزق وتجلب النصر وغير ذلك، وكان أول من بحر البحيرة؛ حيث كانوا يتركون الناقة المرضع فلا يحلبها أحد؛ لأن حليبها حكر على آلهتم

---

١) صحيح ابن حبان - كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة – باب صفة النار وأهلها - حديث: (٧٤٤٧)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان بنفس الرقم وقال: "حسن صحيح"، وحسن إسناده الأرنؤوط في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان برقم (٧٤٩٠).

٢) الأوائل، لابن أبي عاصم – حديث: (٨٣)، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٤٣).

المزعومة، وكذلك أول من سيب السائبة؛ بأن يتركوا الإبل ترعى ولا يركبها أحد؛ لأنها خاصة بالآلهة، وقد رآه النبي يجر أمعاءه في نار جهنم بما كسبت يداه –لعنه الله– فقد كان رئيسًا في الكفر وعبادة الأصنام.

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية»:

"كَانَ أَوَّلُ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ بِالْحِجَازِ بِسَبَبِ عَمْرِو بْنِ لُحَيٍّ –لَعَنَهُ اللهُ– فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَكَانَ ذَا مَالٍ جزيل جدًّا.

يقال: إنه فقأ أَعْيُنَ عِشْرِينَ بَعِيرًا؛ وَذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنْ أَنَّهُ مَلَكَ عِشْرِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ، وَكَانَ مِنْ عَادَةِ العرب أن من ملك أَلْفَ بَعِيرٍ فَقَأَ عَيْنَ وَاحِدٍ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ يدفع بذلك العين عنها.

وَمِمَّنْ ذَكَرَ ذَلِكَ الْأَزْرَقِيُّ وَذَكَرَ السُّهَيْلِيُّ: أَنَّهُ رُبَّمَا ذَبَحَ أَيَّامَ الْحَجِيجِ عَشَرَةَ آلَافِ بَدَنَة، وَكَسَى عَشَرَةَ آلَافِ حُلَّةٍ، فِي كُلِّ سَنَةٍ يُطْعِمُ الْعَرَبَ وَيَحِيسُ لَهُمُ الْحَيْسَ بِالسَّمْنِ وَالْعَسَلِ وَيَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ.

قَالُوا: وَكَانَ قَوْلُهُ وَفِعْلُهُ فِيهِمْ كَالشَّرْعِ الْمُتَّبِعِ؛ لِشَرَفِهِ فِيهِمْ وَمَحِلَّتِهِ عِنْدَهُمْ وَكَرَمِهِ عَلَيْهِمْ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ، فَلَمَّا قَدِمَ مَآبَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ وَبِهَا يَوْمَئِذٍ الْعَمَالِيقُ، وَهُمْ وَلَدُ عِمْلَاقٍ –وَيُقَالُ: وَلَدُ عِمْلِيقَ– بْنِ لَاوَذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ رَآهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي أَرَاكُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا لَهُ: هَذِهِ أَصْنَامٌ نَعْبُدُهَا فَنَسْتَمْطِرُهَا فَتُمْطِرُنَا، وَنَسْتَنْصِرُهَا فَتَنْصُرُنَا.

فَقَالَ لَهُمْ: أَلَا تُعْطُونِي مِنْهَا صَنَمًا فَأَسِيرُ بِهِ إِلَى أرض العرب فيعبدونه.

فَأَعْطَوْهُ صَنَمًا يُقَالَ لَهُ: هُبَلُ، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ فَنَصَبَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ

وَتَعْظِيمِهِ"[1].

١) البداية والنهاية (٢/ ٢٣٦-٢٣٧).

الفهرس

الفهرس

تم ضبط وتدقيق النص بواسطة: مكتب ابن سلام للبحث العلمى



١- موسوعة الأحاديث الصحيحة ١٣ مجلد عن دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع بالقاهرة.

٢- الجامع الصحيح لآثار الصحابة ٨ مجلدات عن دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع بالقاهرة.

٣- معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ٣ مجلدات عن دارة اللؤلؤة للنشر والتوزيع بالقاهرة.

٤- منة الرحمن في فضائل القرآن عن دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع بالقاهرة.

٥- القول المفيد في أحكام التجويد عن دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع بالقاهرة.

٦- الكنوز النبوية عن مطبعة النسور بالمنوفية.